الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة عبد الحميد ابن باديس – مستغانم -
كلية : الأدب والفنون
قسم : الدراسات الأدبية والنقدية

سيميائية الأهواء
في الشعر الصوفي الجزائري القديم

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي

تخصص : أدب عربي قديم

إعداد الطالبتين:
*فاطمة كساوي
* أم كلثوم هدروق

إشراف الدكتورة:
* زهرة بن يمينة

السنة الجامعية: 2020/2019

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــداء

إلى من قال الله فيهما {وَ وَصَيْنَا الإنْسَانَ بِوالِدَيْهِ إحْسَانَا}

و من كان دعاؤهما لي سندا و لازال لطريقي نبراسا

،إليكما أمي ... و أبي ... هذا العمل متواضع ارتأيت أن

يكون جم الفائدة ، كتبته حين رمت التسلل باحتشام لأفتح

مسلكا إلى عالم الصوفية و أفتح نافذة أخرى على وجه من

أوجهها كما فتحتما من سبقوني و لئن أنهيناها اليوم أنا

و الزميلة فهذا يرجع في المقام الأول إلى أستاذتي

الكريمة بن يمينة زهرة الذي أسدت إلينا النصائح و

شجعتنا على الخوض في اتمام هذا البحث .

الشكر إلى عائلة " كساوي "إلى كل صديقاتي في الأدب

إلى أستاذتي المشرفة وجميع أساتذتي لهم مني بالغ

أمنياتي و عظيم تقديري ، إليكم كلكم أهدي ثمرة

جهدي المتواضع وفاءا و إمتنانا

فاطيمة كساوي

إهـــــــداء

الشكر الجزيل ، الحمد الكثير لله العلي القدير ـ أهدي ثمرة جهدي إلى أغلى إنسانة في الوجود التي لونت عمري بجمالها و حنانها "**أمي الغالية**" إلى ذلك الصرح العظيم الذي علمني الخلق الكريم " **أبي** " صاحب الفضل الكبير ، إلى جدي الحنون " **مخلوف** " أطال الله في عمره، إلى أستاذتي الكريمة "**بن يمينة زهرة**" التي علمتني أن تشجيع المعلم لطالبه دافع قوي له على تقدم ، إلى من قضيت معها أحلى أيام عمري سندي في الحياة أختي الغالية " **خديجة** ".

إلى كتكوتة المنزل حبيبتي " **سجى** "، إلى من ذقت في كنفهم طعم السعادة إخوتي : **سيد أحمد، جيلالي ، حبيب، عبد الحميد** .

كما أشكر كل من دعمني وشجعني في حياتي وأعطاني دفعة نحو الأمام .

أم كلثوم مدروق

مقدمة

يعد الشعر الصوفي ، واحدا من فنون الأدب التي ظهرت في العصور الاسلامية فقد تطور تطورا عميقا، فقد استفاد من التراث الشعري الذي سبقه ، وحاكى أغراضه المختلفة ، مضيفا إليها مميزاته و نكهته الخاصة، حيث شكل الاتجاه الصوفي أحد أقوى الاتجاهات الشعرية في القرن السابع هجري إلى غاية يومنا هذا،وقد تعددت الدراسات التي تناولت الشعر الصوفي نقدا و تحليلا، فتهافتت عليه المناهج النقدية لمعالجة و تحليل هذا الفن الأدبي، ويعتبر المنهج السيميائي من أبرز من تناول هذا الجنس الأدبي من خلال محاولته التفرد في تحليل الشعر الصوفي و تفكيكه و إعادة صياغته من جديد، متجاوزا بذلك البنية السطحية و التفسيرات الداخلية إلى البنية العميقة التي تحاول استجلاء مقصدية النص الشعري و الكشف عن دلالته الاشارية و معانيه الخفية، و عليه سعت السيميائية لتحديد أهداف جديدة و اختصاصات متنوعة تبرز فيها لعبة المعنى، فهي لم تتفرد بموضوع محدد أو مستقل بذاته، بل اهتمت بكل ما ينتمي إلى مجال التجربة الانسانية.

من المبررات التي دفعتنا إلى إختيار هذا الموضوع **الذاتية و الموضوعية** و لعل أبرز **المحفزات الذاتية** لإختيارنا هذا الموضوع هو حبنا للموروث الثقافي الصوفي الديني، فأدهشنا هذا النوع من الموضوع و فتنتنا أشعاره الفائقة بمختلف أهواءه و رؤيته الخاصة بالحب الالهي، و هذا ما نشأ في داخلنا رابطة قوية مع هذا النوع من الإبداع الشعري المتميز بالجمال الفني و بعد أن ارتقى تذوقنا لنصوصه الفاتنة.

أما **الدوافع الموضوعية** التي شجعتنا على الخوض في غمار هذا البحث فيأتي على رأسها قلة اهتمام الدارسين بالشعر الصوفي الجزائري خصوصا القديم منه، إضافة إلى إلمامنا بضرورة إماطة اللثام عن تراثنا الشعري العريق، الذي يساهم في رسم معالم هويتنا كجزائريين وعرب ومسلمين، و محاولة الولوج في رحاب قصائد **أبي مدين شعيب التلمساني**، و اختراق سطحها الظاهري، و معانيها المباشرة علّنا نقف على بعض أسرارها التي أهلتها لتصنف ضمن أبرز و أرقى النصوص الشعرية الصوفية، و تزداد أهمية هذه الدراســـة في مغايرتها لعدد من الدراسات السابقة، وهي قليلة في حدود إطـلاعنا المـتواضع

التي تناولت **ديوان الشاعر أبي مدين شعيب التلمساني** المذكور من حيث المنطلق الذي يصدر عنه والهدف الذي يـصبو إليه فلم نعثر على نموذج قارب هـذه الدراسة بـصورتها المقتـرحة و خطتها المتبعة لعله يكون في تقديم عرض موجز لمضمون هذه الدراسات ما يوضح ذلك أول دراسة أنجزتها الباحثة نصيرة شينة، وقد نشرت سنة 2018 تحت عنوان " الشعر الصوفي المغربي أبو مدين الغوث و عفيف الدين التلمساني " نموذج دراسة سيميائية، و ثاني دراسة استمدنا منها بحثنا الموسومة بجمالية " الرمز الصوفي في ديوان أبو مدين شعيب " و هي رسالة ماجيستر في الأدب العربي و نقده انجزها الطالب حمزة حمادة .

لقد اعترضتنا بعض **الصعوبات** أثناء إنجاز بحثنا منها الظرف المستجد **كوفيد19** و صعوبة التواصل مع الأستاذة المشـرفة، ندرة المواضيع المتخـصصة في هذا الموضوع و عـدم توفرها في المكتبات الجامـعية وحتى العمومية، و نشير إلى أن مكتبة الجامعة كانت مغلقة ذلك لأن مراجعنا كانت قليلة، و مع ذلك استطعنا الاستفادة من أهم مرجع يقوم عليه بحثنا كتاب **غريماص** و **فونتيني** " سيميائية الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس " الذي ترجمه سعيد **بنكراد** و أيضا **ديوان أبو مدين شعيب التلمساني**، أضف إلى ذلك ، ما قدمته لنا الأستاذة المشرفة من توضيحات مبدئية للموضوع أزاحت الغموض من حوله، و جعلتنا نصر على اختياره، فبدأنا رحلة البحث والعمل في هذا الموضوع انطلاقا من جملة الاستفهامات و التساؤلات التي كانت تراودنا حول هذا الموضوع و من بين أهم هذه **التساؤلات** : ما علاقة السيمياء العامة بسيميائية الأهواء ؟ و ماهي البوادر الأولى لميلاد سيميائية الاهواء على مستوى الفلسفي و النفسيو النقدي ؟و كيف أسس " غريماس " و " فونتاني " الأهواء و الانفعالات في كتابهما " سيميائيات الأهواء من حالة الأشياء إلى حالة النفس"، وكيف تجلت الأهواء سيميائيا في الشعر الجزائري القديم " لأبا مدين شعيب التلمساني " ؟

لقد حاولنا أن نخوض هذه المغامرة البحثية علنا نجد إجابة عن الاشكالات التي طالما أرقتنا و شغلت تفكيرنا منذ اصطدمنا بالموضوع لأول وهلة، هذه جملة التساؤلات الجوهرية التي حاولنا من خلالها أن نلج عالم السيمياء من بابه الواسع، و سيمياء الأهواء خاصة، و ذلك لإحداث نقلة نوعية نستطيع من خلالها حجز زاوية نظر معينة من منظور صوفي و سيميائي حديث، و نظرا لطبيعة الموضوع الذي بين أيدينا اقتضت الدراسة إعتماد **المنهج السيميائي**، لأن دراستنا نقتضي ذلك، كون الجهاز المعرفي للسيمياء، يساعد للكشف عن مستغلقات النص و دلالته على مستوى الرؤية والتصور و الاجراء

و الفعالية، وهو ما انعكس ضرورة على الشعر في اجراءاته النقدية على صعيدي التعدد و التنوع معززين دراستنا ببعض آليات القراءة التأويلية، حيث جاء هذا البحث متراوحا بين **النظري** و **التطبيقي**، معتمدين في ذلك على خطة عمل ضمت بين طياتها **مقدمة، مدخل فصل أول** بمثابة فرش نظري لدراستنا **فصل الثاني** تطبيقي و **خاتمة**، و في المدخل حاولنا الإحاطة بأهم المفاهيم اللغوية

و الاصطلاحية للسيمياء مع الوقوف عند تعاريف الهوى في المجال اللغوي، و الديني و الهوى في الدرس السيميائي و النفسي، مرورا بالشعر الصوفي و إرهاصاته .

تناولنا في **الفصل الأول** الموسوم بخلفيات و روافد سيميائية الأهواء **مبحثين** : **المبحث الأول** العدة المفاهيمية لسيميائية الأهواء التي حددها غريماص و فونتيني لمعرفة كل الأهواء و خوالج النفس الباطينية

منها [الإستهواء، التوتير، التنظير، المآل المصير] و **المبحث الثاني** جاء تحت عنوان الجانب التطبيقي الذي إعتمده غريماس و فونتاني في كتابهما " سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس " إلى هووين : الأول ذاتي و هو " البخل " أما الثاني بيذاتي و هو " الغيرة " و بعد هذا الفرش النظري ننتقل إلى **الفصل التطبيقي** المعنون ب : تجليات سيميائية الأهواء في ديوان أبي مدين شعيب التلمساني طبقنا فيه العملية الاجرائية للأهواء في نماذج من قصائده و تبيان دلالاتها من خلال هذه

الأهــواء التي استنبــطناها مـن المــدونة [هوى الخمرة و المرأة إلى هوى الحب و الخوف]، ثم خلصنا إلى وضع **خاتمـــة** ضمـن جملـــة مـــن النـــتائج الـــتي بلـــغها التحليل .

لكن الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه، تم إنجاز هذا البحث بفضل الله و عونه و عون الأستاذة المشرفة الدكتورة " **زهرة بن يمينة** " وهذا لا يفوتنا بالشكر الجزيل لها، حيث كانت السند المعين الذي لا ينبض إذ خصصت وقتها، وخبرتها، و توجيهاتها السديدة، ومساندتها لتجاوز العقبات التي اعترضتنا، و تشجيعاتها لنا لتجاوز الصعاب و استكمال هذا البحث منذ أن كان بذرة إلى أن صارة ثمرة، و لن نعتبر ما توصلنا إليه نهاية، بل منه نبدأ، فكل بداية لا تخلو من نقائص، قد نحاول تجاوزها في المستقبل .

في الختام نتقدم بجزيل الشكر و التقدير و العرفان لكل من درسنا خلال السنوات الخمس كل باسمه، و نسأل الله تعالى أن يجزينا خير ما يجزى به عباده الصالحين، في الدنيا و الآخرة، وعسى الله أن يرزقنا علوم نافعة.

مـــــدخـــــــل

السيمياء ،مفهومها و أصولها

ـ تمهيد

1. **السيمياء في الدرس العربي**
2. **السيمياء في المعاجم الغربية**
3. **الهوى في المجال اللغوي**
4. **الهوى في المجال الديني**
5. **الهوى في الدرس الفلسفي**
6. **الهوى في الكتب السيميائية**
7. **الهوى في الدرس النفسي**
8. **الشعر الصوفي و إرهاصاته**

8 ـ 1نشأة التصوف و انتشاره في الجزائر

8 ـ 2 أسباب انتشار التصوف و طرقه في الجزائر

8 ـ 3 أعلام الشعر الصوفي في الجزائر

احتفت الساحة النقدية بجملة من المناهج المعاصرة التي استقطبت الدارسين، ومن أهمها المنهج السميائي، الذي كان شاغلا لدى كثيرا من النقاد على الصعيدين النظري و التطبيقي، هذا الاهتمام البالغ " بالسيمياء " أدى إلى الولادة الفعلية لعلم السيمياء الذي ضرب بجذوره في الثقافيتين الغربية و العربية، مما جعل هذه الأخيرة تأخذ منحى شاملا و بعيدا وأكسبها مفاهيم متعددة حيث ورد هذا المصطلح بلفظه في ثلة من المعاجم .

1 ـ السيمياء في الدرس العربي :

ورد لفظ سيمياء بمعنى "السُّومة و السَّيمة و السَّيمياءُ :العلامة، و سَوَّمَ الفَرَسَ : جعل عليه السِّيمة، و في التنزيل العزيز { و الخيل المسومة } أي المعلمة، و سَوَّمَ فلان فرسه إذا أعلم عليه بحريرة أو بشيء يعرف به [1]،و نستنتج من التعريف اللغوي لمصطلح السيمياء أنه يقترب كثيرا من التعريف الإصطلاحي فهما يلتقيان في نقطة جوهرية ألا وهي : العلامة .

وردت في القرآن الكريم لفظة " السيمياء " دون ياء حيث وردت بلفظة "سيماهم " في جل الآيات، نلاحظ أن الدلالة التي حملتها هذه اللفظة في القرآن الكريم هي نفسها الدلالة التي ذكرها ابن منظور في لسان العرب و هي : العلامة لقوله تعالى : **{ تَعْرفهم بسيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إلْحَافًا }** { البقرة الآية :272}وقوله تعالى :**{وَ بَيْنَهُمَا حـجَاب وَعَـلَى الأَعْراف رِجَـــالٌ يَـعْرِفُون كُـــلاً بِسِيَـماهُمْ}** [الأعراف الآية ـ48]و يتضح مما تم ذكره في الآية الأولى **{تَعْرفهم بسيمَاهُمْ}** المراد منها ما يـظهر لذوي الألـبـاب[2]من صفاتهم، أما في الآية الثانية**{يَعْرِفُون كُلاً بِسِيَماهُمْ }**

---

[1] ابن مظور محمد بن مكرم أبو الفضل ابن مظور الأنصاري [1232ـــ311هـ]:لسان العرب ,بيروت ــ لبنان، ط 3، 2004، مج 7 ص308

[2] أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، دار ابن حزم للنشر و الطباعة ـ بيروت ـ لبنان ، ط 1 ، 2002 ، مج 4 . ص 09.....

أي يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه، و أهل النار بسواد الوجوه .

أما مدلول و مفهوم السيميا اصطلاحا فقد عرف جدلا كبيرا في الأوساط النقدية فهناك من يرى بأن السيمياء : " علم يدرس الإشارات أو العلامات اللغوية و غير اللغوية، ثم إن القول بمصطلح semiotique ما يستدعي حتما ادراك المفهوم الاغريقي للحد semeion الذي يحيل على سمة مميزة "" morque distinctive " أثر trace قرينة " indice " علامة منذرة " signe precurem" دليل " preuve " علامة منقوشة أو مكتوبة " signe grave ou ecint" .[1]يمكننا اذن من خلال هذا التعريف القول بان السيمياء، علم يدرس كل العلامات [للغوية و غير اللغوية، مكتوبة و بصرية أو مرئية]،ان السيمياء وفق هذا المنحنى هي العلامة أو الأثر، السمة، القرينة،الدليل، بصمة، علامة منقوشة او مكتوبة، تمثيل ..... الخ، إضافة الى ذلك أنها علم غربي النشأة و الولادة، يعود ظهورها الى نهايات القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين، و ذلك بصفتها " علما شاملا يدرس كيفية اشتغال الانساق الدلالية التي يستعملها الانسان و التي تطبع وجوده و فكره، فهي تشمل كل عملية تأمل للدلالة أو الفحص لأنماطها و تفسير لكيفية اشتغالها من حيث شكلها و بنيتها"، أي أن السيمياء تشمل كل الميادين و الإتجاهات و كل مناحي الحياة سياسية كانت أو اجتماعية [2] أو نفسية ..... الخ و تفسر الدلالة و تبحث في انواعها و وظيفتها في الشكل و البنية و حتى المعنى الموجود داخل النصوص .

[1] عبد الواحد المرابط ، السيمياء العامة و سيمياء الأدب ، " من أجل تصور شامل " منشورات الإختلاف ، الجزائر ، ط1، 2010 ، ص 07

[2] المرجع نفسه ص17

2ـ السيمياء في المعاجم الغربية :

كانت بداية هذا العلم مع اللساني فرديناند ديسوسير{ Ferdinande Saussure }و الفيلسوف شارل ساندرس بورس { Bourse Charles Sanders }، اذ أطلق الأول على السيمياء لفظة علم العلامات أو **السميولوجيا** في حين أطلق الثاني عليها مصطلح **السيميوطيقا**، لكن على الرغم من الاختلاف في التسميات الا ان المدلول واحد و هو دراسة العلامة، و في ضوء هذا الاختلاف في التسميات شاع استعمال مصطلحين لتعيين علم العلامات في الغرب الأول " sémiologie " والثاني هو : " sémiotique " و هما كلمتان مركبتان تشتركان في سابقة واحدة هي " suffixe " ففي المصطلح الأول تعني الخطاب "" logose " وفي المصطلح الثاني تعمل على نسبة الديداكتيكتية " "[1]،فمن خلال استقرائنا لهذا القول نجد انفسنا امام مصطلحين مستعملين في الثقافة الغربية لمصطلح السيمياء \ علم العلامات ألا و هو "" **مصطلح السيميولوجيا** " عند دي سوسير " **ومصطلحالسيميوطيقا** عند بورس اذ على الرغم من الاختلاف إلا أنهما يتفقان في أصل الكلمة **[سيمو]** و التي هي ركيزة و اصل السيمياء أي **العلامة** .

يرى أمبرتو إيكو " " Umberto éco " بأن السيمياء تعني بكل ما يمكن اعتباره اشارة .[2]

أي أن السيمياء على حد قول ايكو علم دراسة الاشارات بما تأخذه هذه الإشارات من اشكال سواء أكانت " كلمات،صور، أصوات، أشياء ايماءات .....الخ " فالسيمياء تنقل لنا رسالة لكن بليغة غير مباشرة فهي دوما تسعى للبـــحث عن مكونات العلامة محاولة بذلـك قراءة ما وراء الســطور

---

[1] المرجع السابق ص 19

Umbertiecio athevry of semiotics ،advznces in semiotics ،umiversity press ، 1976 P 07

[2] نقلا عن : دانيال تشاندلر : أسس السيميائية تر \ طلال وهبة مركز دراسات الوحدة العربية ، ط 1 بيروت ، 2008 ، ص28.

و فك مستغلقات النصوص، و شفراته لفهم مجريات الأحداث باعتبارها علامة ذات دلالة و جزءا من ثقافة الانسان ،أكد " بيرجيرو " في تعريفه للسيمياء على أنها : " علم يدرس أنساق العلامات لغات، أنماط، علامات المرور الى آخره، وهذا التعريف يجعل اللغة جزءا من السيميائية، و هناك اتفاق في الواقع، لإعطاء اللغة مكانة مرموقة و مستقلة تسمح بتعريف السيميائيات على أنها : دراسة الأنساق السيميائية غير اللغوية، من حروف البكم، الصم، الطقوس .."[1]يمكن أن نستنتج في ضوء هذا المفهوم أن السيمياء تركز على عنصر أخر إلى جانب العلامة و هو اللغة و جعلها جزءا لا يتجزأ منها .

لقد حظيت السيمياء بتسميات عدة أحصى لها حوالي ما يقارب عشرين ترجمة، من بين هذه التسميات نذكر : { سيميولوجيا، سيميولوجية، علم السيميولوجيا، علم الدلائل علم العلاقات، علم الأدلة، علم السيمانتيك، علم الاشارات، كل هذه التسميات تقابل مصطلح sémiotique ".[2]

من هذا المنطق، يمكن القول أن مصطلح السيمياء قد أخذ ترجمات عديدة، و بالرغم من تعدد المصطلحات إلا أن المعنى واحد و هو " السيمياء "، الذي سال فيه الحبر و امتلأت به المراجع، و شغل فكر الباحثين وتعددت فيه الأراء و أصبح محل للنقاش، هذا ما خلق فوضى للمصطلح و ارتبط هذا الاختلاف بالذهنيات و الأهواء، و ان ميدان سيميائية الاهواء ليس ميدانا مستحدثا في الدراسات السيميائية، بل يعود تأسيسها الى محاولات سابقة عند الباحثين، لعل أهمها ما أثار اليه الباحث السيميائي أج غريماص [A .J] Greimas في كتابه المعنى [du sens]، باعتباره الهوى ظلا تابعا للذات و حالات انفعالاتها النفسية، فتحمل هذه الاخيرة حيزا واسعا في حياة الانسان من خلال الافصاح عن مكوناته النفسية و الشعورية و أحاسيسه و الولوج إلى عوامل الباطن و الانحياز

[1]بيرجيرو ،السينيمائيات دراسة الأنساق السينمائية ، غير اللغوية ، تر \ مندر عياشي ، دار نيتوى للدراسات و النشر و التوزيع ن دمشق سورية ، ط 1 ، 2016 ، ص5

[2]يوسف و غليسي ، مناهج النقد الأدبي ، مفاهيم ، و أسسها ، تاريخها ، و روادها و تطبيقاتها ص101

للداخل،[1]ونستنتج من هذا القول أن سيمياء الاهواء تهتم بالبحث في الهوى الانساني و يعد هذا المفهوم من المواضيع المطروحة عند العلماء النفس، فتعددت مفاهيمه و مدارسه، لكن قبل رصد مدلوله الاصطلاحي لابد من البحث في الجذر اللغوي لكلمة [**الهوى**] .

3 ـ الهوى في المجال اللغوي :

ورد في لسان العرب في مادة " الهوى " أن الهوى معناه الهوى مقصور : هوى النفس، وإذا أضفته إليه قلت " هَوَايَ " قال ابن بري : و جاء هوى النفس ممدودا في الشعر قال :

وَهَانَ عَلَى أَسْمَاءَ إِنْ شَطَتِ النَّوَى نَحِنُّ إِلَيْهَا ، وَ الهَوَاءُ يَتُوق.

ابن سيده : الهَوى العِشـــق، يكون في مداخـل الخير و الـشـر و الهويّ و المهويّ قال **أبو ذؤيب**

فَهُنَ عَكُوفٌ كَنَوْحِ الكَرِيمِ قَدْ شَقَّ أَكْبادَهُنَ و الَهوِيُ و المهوي

أي فقد و المهوي، و هوى النفس: ارادتها، و الجمع الأهواء ، التهذيب : قال اللغويون " الهَوَى " محبة الانسان الشيء و غلبته على قلبه، قال الله تعالى :{ **و نَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى** } [النازعات ـ الآية40] [2]معناه : نَهاهَا عن شهواتها و ما تدعوا اليه من معاصي الله عز وجل، الليث : الهوى " مقصور هوى الضمير تقول هَوِيَ بالكسر، يهوى، هوًى أي أَحَبَّ، و قول أبو ذؤيب الهذلي :

سَبَقُوا هوي وَ أَعْنَقُوا لهَوَاهُمْ فَتَخَزِمُوا، وَلِكُلِ جَنْبِ مَصْرَعُ [3]

---

[1]غريماص و فونتيني ، سيميائية الأهواء من حالة الأشياء إلى حالة النفس ، ترجمة و تقديم سعيد بنكراد ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، طرابلس ن ط 1 ، 2010 ، 368

[2]ابن منظور ، لسان العرب ، بيروت . لبنان ، ط 1 ، 2004 ، مادة [باب الواو ، فصب ، الهاء] مج 5ص115

[3]مرجع نفسه ص115

الشاعر ابو ذؤيب متحسر على فقدانه لأولاده و إعتراه الحزن والألم .

نلاحظ أن هذا التعريف المعجمي يقترب كثيرا من التعريف الاصطلاحي " لِلْهَوى " إن لم نقل يطابقه ذلك أن الهوى هو كل ما يحتاج النفس من مشاعر و أحاسيس و إنفعالات كالحب، العشق، الكره، الغيرة .... إلخ، و ربط الخليل بن أحمد الفراهيدي الهوى بالحب و العشق، إذ أجمعت هذه المعاجم اللغوية على ان مصطلح الهوى مرتبط ارتباطا وثيقا بالعواطف و الأحاسيس و محبته الانسان للأشياء و غلبتها على القلب في غياب العقل [كالحب، العشق، الاعجاب....الخ،[1]يمكن اعتبار الهوى في الاصطلاح مجرد شعور، و احساس، و انفعال نابع من الذات الإنسانية .

4 ـ الهَوَى في المجال الديني :

ذكرت لفظة " الهَوَى" في القرآن الكريم بما يقارب اثنان و ثلاثون أية،لقوله تعالى **{ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ اليَهُودَ وَ لا النَصَارَى حَتَى تَتَبِعَ مِلَتَهَمْ قُلْ إِنَّ هُدَى الله هُو الهُدَى وَلَئِن إِتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الذّي جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ مَالَكَ مِنْ الله مِنْ وَلِيٍ و لا نصيرٍ }** [سورة البقرة :الآية120]،وجاء في تفسير ابن كثير بهذه لهذه الآية انه في تهديد و وعيد شديد للأمة عن متاع طريق اليهود والنصارى، بعد ما علموا القران و السنة، عياذا بالله من ذلك فإن الخطاب مع الرسول صلى الله عليه وسلم و الأمر لأمته و قد استدل كثير من الفقهاء بقوله : **" حتى تتبع ملتهم "**[2]حيث افراد الملة على أن الكفر كله ملة واحدة، وردت في الآية 48 من سورة المائدة مفردة الهوى في قوله تعالى :

{ وَ أَن أَحْكُمَ أَنْزَلَ الله و لاَ تَتَبِعْ أَهْوَاءهَمْ }، فأمر رسول الله تعالى أن يحكم بينهم بما في كتابنا و قوله " وَ**{ لاَ تَتَبِعْ أَهْوَاءهَمْ }** اي أراهم التي اصطلحوا عليها و تركوا بسببها ما أنزل الله على

[1]الخليل ابن احمد الفراهيدي ، كتاب العين ، دار الكتب العلمية : بيروت ، ط1 ، 2002 ، مج 4 ص 333

[2]ابو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، تفسير القرآن الكريم ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، ط1 ،2002 ، مج 1 ، ص294

رسوله، و لهذا قال " و لا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق أي لا تتصرف عن الحق الذي أمرك الله به إلى أهواء هؤلاء الجهلة الأشقياء، وقد تطرقت هذه الاية مرتين في نفس السورة و تحمل نفس الدلالة و هذا تأكيد لما تقدم من الامر بذلك و النهي عن خلافه،[1] و من خلال الآيـات التي تم ذكرها أن كلـــمة [الهوى] تعني كل الصفات التي تحرض على إرتكاب الكبائر من جهة، و اخماد جذوة الايمان من جهة أخرى .

5ـ الهَوَى في الدرس الفلسفي :

أولى الفلاسفة عناية كبيرة بموضوع الأهواء : أمثال " ديكارت، إسبينوزا، و أفلاطون ثم أرسطو، انتهاءًا بهيغل " إذ نجد الفلسفة ساهمت إلى حد كبير في تنوير الفكر الأهوائي، و ذلك لإرتباطها بطابع صريح يتعامل بمنطقية، وهذا ما جعلها تقترب من حقل السيميائيات، أي لا يصدق بالسيميائيات في حد ذاتها، و ذلك من خلال [الصنافات الايحائية التي تتطلب دراسة خاصة، حيث يوضح كل من غريماص و فونتني عمليات اشتغال هذه الصنافة من خلال بعض الفلاسفة، بما أن الهوى كان دائما محط دم و تحذير و شبهة، فقد عرفه كانط : " بأنه جنونا يسير ضد العقل " اما أرسطوا فقد ثمن الأهواء و بين أهميتها حين قال : " إن الأهواء تلعب دورا مهما في الكشف عن الاختلافات البشرية و تضعيف الوعي الى كينونتين تنزعان الى التوافق والتعارض،[2] و خلاصة القول اهتم كل من الفلاسفة و الفقهاء بالأهواء و اعتبروها في أغلب الأحيان أنها نقيصته العقل و مفسدة له، و في أسوء الحالات اعتبرت الأهواء السبب الرئيسي وراء ضياع النفس .

---

[1] المرجع السابق، ص 734

[2] محمد الداهي، " سيميائية الأهواء "مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب،الكويت، مارس 2007

6 ــ الهوى في الكتب السيميائية:

سعت السيميائية مجال أبحاثها و تطورها لتشمل جميع الأنساق الدلالة، [كالرموز، الصورة والموسيقى، العمران، الفضاء...الخ] ومع كل هذا التقدم في مجال السيميائية الا أن ميدان الأهواء،ظل مهمشا بالنسبة إليها بإعتباره مرتبطا بالذات، أو الجانب النفسي لها، هو الأمر الذي الذي جعل السيميائية مترددة في دخول هذا الميدان خشية الوقوع في الدراسات النفسية التقليدية، " إلا أنها منذ الثمانينيات القرن العشرين بدأت بالانفتاح على الذات و المرجع الانفعالات، الجسد، التوتر، و التأويل، فظهرت " السيميائية الذاتية " مع " جان كلودكوكي،" و " السيميائية الأهواء " مع غريماص و فونتيني " و " السيميائية التوتر " مع " جاك فونتيني " .[1]

7 ـ الهوى في الدرس النفسي :

تتداخل الأهواء في مصطلحات عديدة منها: العاطفة، و الشعور، والانفعال.

1.7 **العاطفةSENTIMENT**: استعداد وجداني مركب و تنظيم مكتسب لبعض الانفعالات نحوى موقف أو موضوع معين، فإذا تجمعت عدة انفعالات حول موضوع معين ينتج عن ذلك عاطفة معينة،وتبنى العواطف على علاقة الفرد بالأشخاص، أو موضوعات كانت فالحب مثلا و عاطفة الكراهية توسع من دائرة الفرد،كون الفرد عندما يحب فهو يلجئ إلى وسائل و طرق الإشباع هذه العاطفة، و هذا ما يطبع شخصية الفرد بطابع خاص، [2]نستخلص أن العواطف ما هي إلا مكونات خفية في النفس كالانفعالات و الحاجات و الميول و الرغبات .....الخ و هذه الأخيرة تميز و تطور شخصية الفرد و تمكننا من معرفة عواطف نحو موضوع ما، و تتلون عواطف الفرد بحسب

[1] عريماص و فونتاني : " سيميائية الأهواء من حالات الأشياء إلى حالة النفس "ص 13

[2] عماد عبد الرحيم الزغلول ، علي فالح الهنداوي ، مدخل إلى علم النفس ، دار المسيرة للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، ط 1 ،2013 ص 497

تقلباته النفسية، فالفرد يخضر من الحسد و يحمر مع الغضب و يكون ازرقا مع الأسى فالمزاج الفكري يتلون بحسب الشعور، فمجموعة العواطف الايجابية كالحب و الرغبة تأخذ صفة السرور و الذهول، في حين تنعكس الانفعالات و الوجدان السلبي كالخوف و الاحباط و الغضب، في محيطنا بالفزع و النفور و تجعله جانبا غير محتمل،[1] إذن العاطفة هي كل حالة انفعالية .

2.7 **انفعالEMOTION** : كثيرا ما نسمع فلان سريع الإنفعال، في درجات معقولة يحمي الإنسان من الخطر، ويعبئ طاقته للعمل والنشاط يدفعه على مقاومة الاخطار والاعداء لمواجهة المستقبل، لكن في حالات كثيرة تتحول هذه الإنفعالات إلى مصدر من مصادر الإضطرابات في الحياة النفسية و الإجتماعية للفرد، و في حالاتنا العادية نوعان من الانفعالات ألا و هي : الانفعالات الايجابية التي تحقق الرضا، و الانفعالات السلبية التي تؤدي إلى الغضب و الاحساس بالقلق، لكن يبقى مفهوم الانفعال عند الدارسون مصطلح فضفاض و زئبقي لا يمكن الإمساك به، فهو كما يراه " بول توماس يونغ " 1961 م أنه عملية ذات طبيعة مركبة لابد من تحليله إلى أجزاء من مختلف وجهات النظر،[2] أي ان الانفعال ناتج عن خبرة ذاتية شعورية قوية تتجلى في شكل تظهر في الجسم على شكل خوف ،غضب، فرح، حب .....الخ.

3.7 **الشعور conxious** : يعرف علماء النفس الشعور على أنه الحدس النفسي الذي نطلع به على حالاتنا الداخلية، و أشار " هاملتون " أن الشعور هو معرفة النفس بأفعالها و انفعالاتها "[3] إذن فالشعور هو معرفة مباشرة لإدراك الحالات و الصفات النفسية كالأفكار و الذكريات و العواطف اختلف بعض المفكرين و فلاسفة و الباحثين و على رأسهم **سيغموند فرويد** صاحب نظرية " الشعور

[1] سامي محمد ملحم ن أساسيات علم النفس ، دار الفكر للنشر ، ط 1 ، 2009 ، ص 234

[2] عبد الرحمان عيسوى الوجيز في علم النفس العام ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، مصر ،د ط ، 2013 ، ص125

[3] عبد الرحمان الوافي ، مدخل إلى علم النفس ، دار هومه ، الجزائر ، ط6 ، 2013 ص61

و اللاشعور " حول الشعور و مفارقته بالظواهر النفسية و مستقل عنها، فذهب البعض إلى القول بأنه " الشعور هو احساس المرئ بوجوده و تصرفاته و العالم الخارجي، و هو الذي ينسق بين معطيات الحواس و الذاكرة و يحدد موقفه من الزمان و المكان، و ليس هناك شعور بأمر أو شيء معين، فهو مرادف للتقيظ يتراوح بين الوعي و اللاوعي ." [1] فالشعور يشمل الوعي واللاوعي.

8ـ الشعور الصوفي و إرهاصاته :

الشعر هو نتاج خيال محلق و شعور مرهف و فكر رحب، و الشعر من الشعور و لذلك سمته العرب شعراً لأنها شعرت به و فطنت اليه و للصوفية أدب غني بما فيه من ذاتية ظاهرة و نزعة وجدانية قوية ويحمل الشعر الصوفي نفحات قرآنية و نظرات فلسفية و خاصة بما يتعلق بوحدة الوجود و احتقار المادة و عالمها، و قد لجأ المتصوفة الى الشعر لأنه افضل وسيلة للتعبير عن مواجيدهم و أذواقهم التي لا يمكن للعقلان يفصح عنها، و الشعر الصوفي كثيرا و غزير غزارة النثر الصوفي، و شعرائهم كثيرون في كل عصر، فقد خلف الصوفية تراثا شعريا عظيما يتميز بثراء الخيال و الرمز و تنوع الموضوعات بين تصوير للتجربة في الطريق الصوفي، و تعبير عن الحب الالهي، وشرح للفلسفة الصوفية العامة [2]نلخص مما ورد في الشعر الصوفي ، فقد عرفنا انه وجداني بطبيعته محمل بالتجربة الصوفية و المحبة الإلهية و الحياة الاجتماعية و جاء كرد على الترف و الاندفاع إلى ملذاته و التفرغ لعبادة الله و الاهتمام بالآخرة.

استمد الشعر الصوفي مصادره من مؤثرات داخل البيئة الإسلامية و إشعارها ومن مؤثرات خارجة عنه ، فتأثر الشعراء الصوفيون بالكتاب المقدس و خاصة الأناشيد و سفر الجامعة، و تأثر الشعر الصوفي بالشعر الديني في الإسلام فهو من أول منابع الأدب الصوفي حيث كان هذا الشعر يعبر عن انتصار

---

[1] جبور عبد النور ، المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1984 ،ص3 15

[2] علي الخطيب ، اتجاهات الأدب الصوفي بين الحلاج و ابن عربي ، د ط ، القاهرة ، دار المعارف ، 1404 ، ص21

الدعوة الإسلامية و ظهر فيه شعر الفتوح و تمجيد البطـولة و الإشادة بالإســلام و مــدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، و المهاجرين و الأنصار،[1] و نستنتج أن الشعر الصوفي كان يهدف إلى الوعظ و الذكر بالآخرة و وصفها .

8 ـ1 نشأة التصوف و انتشاره في الجزائر :

بدأ التصوف في الجزائر مع القرن العاشر الهجري، و أصبح يطلق عليه تصوف الزوايا و الطرق الصوفية، و قد وجد التصوف و طرقه لأول مرة في بلاد القبائل ببجاية و المناطق المحيطة بها، وكانت بجاية مركز إشعاع طرقي صوفي لعدة قرون من الزمن فلقد انطلق منها رحلات التصوف من أمثال أبوزكرياء السطيفي و يحي العيدلي، أبو حسن الجراري، عفيف الدين التلمساني، عبد الحق بن رييع الانصاري البجائي،الشيخ أبو مدين شعيب، الذي انتقل فيما بعد إلى تلمسان، وتوفي سنة 1197 م و منها انتقل التصوف الى بقية المناطق الأخرى، و كان الشيخ أبو مدين شعيب احد أوائل و أوتاد الطريقة الصوفية في الجزائر فازدادت شهرته على يد تلمــيذه عبد الــسلام بن مشيس [هـ665] ثم تطـورت و احياها من بعده الطائفة الشاذلية و تلميذه ابن مشيش " ابو الحسن الشاذلي نسبته الى قرية شاذلية بتونس و توفي بأرض الحجاز55 6هـ وكان لتعاليم الشاذلي تأثير مهم في الجزائر، بحيث يكاد يجزم ان معظم الطرق متصلة بالطريقة الشاذلية، كما شاع التصوف بفضل مدرسة عبد الرحمان الثعالبي و احمد زروق و غيرهم من الشيوخ، و بذلك أخذ التصوف يدخل من شرق و غرب الجزائري،[2] ونستنتج من شواهد ميلاد الشعر الصوفي في التعدد الكبير للزوايا الموجودة في الجزائر و كذا تعدد الشعراء الصوفين .

---

[1] محمد ابراهيم منصور ، الشعر و التصوف ص28

[2] الطاهر بونابي ، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 الهجريين 12و 13 الميلاديين ، شركة دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، عين مليلة ، 2004 ، ص47

8ـــ2 أسباب انتشار التصوف و طرقه في الجزائر :

أ– عوامل فكرية :

وجود أعلام صوفية عملوا على نشر هذه الطريقة بكامل المغرب الاسلامي، أثروا بسلوكه و بعلمهم و بمؤلفاتهم أمثال الشيخ أبي مدين، الملياني ،الثعالبي .. و يضاف الى ذلك تأثير كثير من علمائنا بالتصرف المشرقي بدأ يسيطر بدوره على الساحة الفكرية بعد محاولة الإمام الغزالي التوفيق بين الشريعة و الحقيقة,

ب– عوامل سياسية:

سقوط الدولة الموحدية التي كانت تمثل دولة قوية واجهت الغزو الاسباني، و لأسباب داخلية و خارجية تدهورت أوضاعها، و سقوط الأندلس نتيجة التدهور السياسي الذي أصابها عقب سقوط الدولة الأموية، ونتج عن سقوط الأندلس أمران : الغزو الاسباني لمعظم سواحل المغرب الإسلامي، الأمر الثاني : هجرة كثير من صوفية الأندلس إلى أراضي الجزائرية .

ج– عوامل اجتماعية :

انتشار البذخ و الترف عند طبقة معينة نتيجة الثراء الفاحش و تراجع القيم الدينية و الأخلاقية حيث أهمل الخاصة و العامة الكثير من مبادئ الدين و سلوكه القويم، و قد حارب الصوفية هذا الانحراف و قاوموا بكل السبل هذه الاختلافات مما أدى إلى انتشار مذهبهم،[1] ما يمكن القول عن عوامل انتشار التصوف و التأثير الكبير الذي قامت به على حياة المجتمعات الجزائرية

3.8 أعلام الشعر الصوفي في الجزائر :

لا يتسع المقام لنورد جميع أعلام المتصوفة لكننا إقتصرنا على شاعر واحد، و حاولنا أن نأخذ فكرة موجزة عنه و عن شعره و هو: **أبو مدين شعيب التلمساني** :هو الشيخ الحكيم، العابد الزاهد،

[1] عبد المنعم القاسمي ، عن التصوف و الصوفية في الجزائر ، الموقع الإلكتروني http://albordji=blogspotcom:

أبرز المشايخ و أشهرهم في شمال إفريقيا و الأندلس في القرن السادس الهجري، قطب التصوف، ذو الفضائل المشهورة، إنه الشيخ أبو مدين شعيب بن الحسن الانصاري الاندلسي الاشبيلي المالكي الصوفي الفقيه المحدث المشهور بشيخ المشايخ، ولد هذا الجليل في حصن قنطانة سنة [509هـ1115نشأ يتيما في أسرة فقيرة، كان راعي للمواشي، ترعرع في ظروف قاسية و من بطش أخيه، فسافر إلى المغرب بعد هروبه فارتحل إلى فاس حيث مجالس العلم : عاش الشيخ حياة حافلة بالفكر و العلم، إكتسب خلالها الكثير من العلوم العقلية و النقلية،[1]كان الشيخ أبو مدين شعيب من أكبر المشايخ و تتلمذ به خلق كبير، و وهدى ألف إنسان و قادهم الى سبيل الله،وقد خلق الشيخ أبو مدين شعيب الغوت كلاما و أدعية و شعرا، و شعره على ما ذكر المقري " كثير مشهورين الناس " و هو شعر مستكمل النفاسة لفظا ومعنى، و البعض منه يغنى به و ينشد في محافل الذكر، و هو الشعر الذي نسعد اليوم بإعداده و دراسته .[2]

[1] أبو مدين، الديوان، جمع و ترتيب : العربي بن مصطفى الثوار، مطبعة الشرق، دمشق ،ط 1، 1958، ص 06

[2] شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث حياته و معراجه إلى الله ، ص 92

الفـصل الأول: خلفيات و روافد سـيـمـيـائـية الأهـــواء.

1.العدة المفاهمية لسيمائية الأهواء .

1ـ1 الإستـــهواء .

1ـ2 الـتـوتـيـــر .

1ـ3 الـــنـظـيـر .

1ـ4 المآل المصير .

2.الجانب النظري التطبيقي غريماس و فونتاني .

2ـ1 هوى البخل .

2ـ2 هوى الغيرة .

تمهيد:

يراهن غريماص و فونتيني على أن معرفة الهوى و دراسته ليس بالضرورة معرفة ذلك الهوى و صفاته الدالة عليه، بل همه الوحيد التركيز على الأثر الذي يتركه ذلك الهوى في الخطاب من إنطباعات معنوية، لذلك فإن هدف هذه السيميائيات ليس تقديم مبدأ يتم من خلاله إستدعاء الظواهر في الذهن كما هو عند الفلاسفة و علماء النفس و لا بحكمها على ذلك الهوى من الناحية الإجتماعية و الأخلاقية، و عدم تقديم أي هوى عن غيره، "فهوى السيميائيات هوى تركيبي دلالي لا يلتفت إلا للممكنات الكامنة التي يمكن أن تتجسد من خلال وجوده الأدنى كما يتحقق في القواميس "[1] ذلك أن الهوى السيميائيات هو هوى يعطي أهمية بالغة للمعنى و التركيب على حساب الشكل، و يتولد هذا المعنى من سياقه الذي ورد فيه وفق ما تحدده القواميس، التي ترى بأن الهوى هو جملة الانفعالات التي تنشأ بعيدا عن ما هو معرفي و تداولي، فسيميائيات الأهواء تبحث في مخزون الهوى معتمدة في ذلك على التطورات للإفصاح عن معطياته و كيفية إشتغاله، فالفرد مثلاعند قيامه بفعل فهو يفعل ويكسب الفعل شحنات إنفعالية، فالهوى بدوره خاصية للإستمرارية و الديمومة .

يؤكد **غريماص** و **فونتيني** على ملازمة الذات للعالم و الحال على النقيض و عليه فإن سيميائيات الأهواء إستنبطت مفاهيمها الأساسية من السيميائيات العامة { السيميائيات الكلاسيكية بتعبير **فونتيني** }، فالهوى هو أداة لتضيق الثغرات الموجودة بين المعرفة و الحس و شحنته تقوم على آليات،[2] يمكن القول أن النظرية التي أسسها الباحثان { **غريماص** و **فونتيني** }تبحث في الذات و النفس الإنسانية و هي مبحث جديد سمي **بسيميائيات الأهواء** و تبيان العلاقة الإنفعالية بين

[1] غريماص و جاك فونتي، سيميائيات الأهواء " من حالات الأشياء إلى حالات النفس، ص11

[2] المرجع نفسه، ص 14

الذات مع نفسها و مع العالم، كماعمدت سيميائيات الأهواء على جملة من الأجهزة المفاهيمية للحقل الأهوائي لسيمياء الأهواء :

1ـ العدة المفاهيمية لسيميائية الأهواء :

إن ظهور الأهواء و العواطف الإنسانية في الحقل السيميائي، قد أعاد الاهتمام للحياة الداخلية و المكنونات النفسيية للذات، التي تتميز بغى دلالاتها، و لعلنا نجد من أهم هذه المفاهيم عند غريماص {Grimace}و فونتيني { Fontini} هي:

1ـ1 الاستهواء :la phorie:

هو المادة الخام للأهواء و يتمثل في مجموعة الانفعالات الخفية الموجودة سابقا و التي يستند إليها الخطاب الأهواء لرسم معالمه، فبدون إستهواء لا وجود لأهواء فهو المنطلق الأول لأي تركيب، الدال على "حركة تشمل على الانفتاح و الانغلاق فهو بمثابة الدافع الحسي الذي يقدم مثير للحصول إلى [1]استجابة إنه دينامية جسدية، و يقوم مكوناه الصالح و الطالح بتوجيه الحركة فهو يشير إلى مجمل الشروط القبلية لتشكل الدلالة و الحد الأدنى الحسي في الوجود الانساني و بناءا على ذلك فالاستهواء هو كل نشاط حسي مسبق مشكل الأهواء أثناء تحديد مسارها فهو عبارة عن موجة لكل حركة تقوم

---

[1]غريماص و جاك فونتي ، سيميائيات الأهواء " من حالات الأشياء إلى حالات النفس ، ص14،ص30.

* . أج غريماص : " ajgreimas " سيميائي فرنسي من أصول ليتوانية ، ولد بروسيا 1917 ، و توفي : باريس 1992 مؤسس مدرسة باريس السيميائية ، و أحد أعضائها ، إهتم لاحقا بإعادة بناء " الميثولوجيا اليتواثية " من أهم أعماله علم الدلالات البنيويةَ 066 ، في المعنى 1 ، 1970 ، قاموس السيميائيات بالاشتراك مع جوزيف كوؤتيس 1979 ، في المعنى 2 ، 1983
* جاك فونتاني " jaquefaontanille " سيميائي فرنسي ، أستاذ اللسانيات و السيميائيات بجامعة ليموج رئيس جامعة ليموج 2005 ـ 2010 " من الأعضاء الفاعلين في " مدرسة باريس السيميائية من أهم أعماله : الفضاءات الذاتية 1989 ، سيميائيات المرئي 1995السيميائية الخطاب
* ـ الصالح و الطالح : ينبثقان عن الاستهواء باعتبارهما الشكلين الأولين المسؤولين عن الاستقطاب الهووي ، هما يستوعبان حدا بحد كل الحالات الايجابية من جهة [صالح] و السلبية من جهة [طالح]

بها الأهواء، وجاء شعر الحب الصوفي تعبيرا عن حقيـقة أنفس تجردت عن النزاعات و الشـهوات النفسية و أهوائها و أمزجتها، فكان مثلا حيا للروح الإنسانية الصافية التي تطابقت أفكارها و معانيها مع المبادئ الإسلامية المنبثقة من الدين الخالص، وذلك فإن شعر المتصوفة جاء إسلاميا، مسايرا للدعوة الإسلامية و سيرتهم المتوافقة مع تعاليم الدين في بناء حياة روحية تسمو بهم و تعبر عن حبهم للذات الإلهية التي هاموا بها، و أفنوا ذواتهم في سبيلها، فالصوفية سعداء بما يتعطف به عليهم محبوبهم الأعلى،فالآلام منه نعمة تسعدهم و تزيد شوقهم إليه، ونعيش هذه الصورة مع **ابن الكيزاني محمد بن إبراهيم بن ثابت [ت 560 م]** في قوله :

اصرِفوا عنِّي طَبِـــيبي وَ دَعُـوني وَ حَـبيـبي

عَلـَّلوا قـلبي بذكراهُ فـقـد زادَ لهيـــبي

طابَ هَتكي في هواهُ بَـيـنَ وَاشٍ و رقـيـبِ

لا أُبالي بفَوَات النَّفـسِ مـــا دامَ نـصيـبي

جَسَـدي راضٍ بسُـقمي وَجُفُـوني بنَحيـبي[1]

فقد صاغ الشاعر هذه الأبيات على طريقة الصوفية في الرمز بالغزل البشري و التلويح به للحب الإلهي، و إذا تأملنا شعر الحب الصوفي نجده تغييرا عن عاطفة إنسانية نابغة من إرادة المحب و وجد انه في أعلى مراتب الحب و أسمى درجاته، الحب الذي يمتلك النفس الانسانية ويرتقي بها عن الحب البشري المادي الذي يهدف إلى إشباع رغبات النفس الشهوانية و إنما الحب الذي يصل بالنفس الإنسانية إلى درجات الكمال، و هذا ما ذهب إليه الصوفية مهما تناءت بهم الديار و تباعدت

[11]ديوان ابن الكيزاني الشاعر الصوفي ، حياته و شعره ، علي صافي حسين ، دار المعارف ، مصر ،ب،ت ص102

الأوطان فإن لغة الحب التي عبروا بها عن أحوالهم و مواجيدهم، ربطت بينهم و ألفت بين قلوبه متقول **رابعة العدوية** [ت 185 هـ] و كانت أول من صرح بالحب، حيث أخرجت التصوف عن تأثر بعامل الخوف، أخضعته لعامل الحب، وهي تعبر عن ذلك بعد تجربة و معاناة مباشرة في أبياتها المشهورة التي تقول فيها :

أحِبُكَ حُبَّيْنِ: حُبَ الهَوىٰ وحُبــاً لأنَكَ أهْـلٌ لِذَاكا

فأما الذي هُوَ حُبُ الهَوىٰ فَشُغْلِي بذِكْرِكَ عَـمَنْ سِواكْا

وإما الذي أنْتَ أهــلٌ له فكشفك لِي الحَجَبُ حَتَى أرَكَا

فلا الحَمْدُ في ذا ولا ذاكَ لي ولكــن لكَ الحَمْدُ فِي ذا وذاكا

و الحب الصوفي يخالف ما يسبق إلى الذهن عادة من هذه الكلمة اذ تمثل الذات الإلهية الطرف الأخر من هذه العلاقة و إن عبر عنه بألفاظ مدح لجمال المحبوب فداك الجمال هو تجليه تعالى بوجهه لذاته فلجماله المطلق جلال، و انما يتجلى هذه الجمال بظهوره في الكل كما قيل :

جمالك في كلّ الحقائق سافرٌ و ليس له إلا جلالك ساترُ

فكل جمال جلال و وراء كل جلال جمال،[1] و الجمال يحرك عاطفة الحب، و لذا كان تحرك هذه العاطفة نحو الأعلى و نحو الإلهي أي نحو الخالق و لهذا قال **ذو النون المصري** " لما سئل عن المحبة فقيل له : ما المحبة الصافية التي لا كدرة فيها ؟ فقال:" حب الله الصافي الذي لا كدرة فيه : سقوط المحبة على القلب و الجوارح حتى لا يكون فيها غير المحبة و تكون الأشياء بالله و الله، فذلك المحبلله [2]

[1] عبد الرزاق القشاني ـ معجم اصطلاحات الصوفية ـ تحقيق محمد كمال إبراهيم جعفر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1981، ص 40

[2] أبو العلاء عفيفي ـ التصوف الثورة الروحانية الإسلام ـ دار المعارف، القاهرة 1963، ص121

يعد العفيف التلمساني زعيم هذا الفن في الشعر العربي فقد وقف ديوانه الشعري و حبس قريحته على التغني بحبه لربه و عشقه إياه، يقول مصورا عشقه و لوعته و تفانيه في الحب الإلهي :

يفنى الزمان و ليس يفني حبكم و على محبتكم أَمُوتْ و أحسَرُ

حبي لكم طبعٌ بغير تكـــلـّف و الـطبع في الانسان لا يتغير [1]

و لقد عبر العفيف التلمساني عن الحب الإلهي في قصائد و مقطوعات شعرية تفيض وجدا و شوقا و تزخر حبا و عشقا، و تشع جمالا و إشراقا صادقا في حب الذات العليا فيقول :

لا تَلُم صَبَوتي فمن حَبّ يصبو إنما يرحم المحبَّ المحبُّ

كيف لا يوقدُ النسيمُ غرامـي ولـه في خـيام ليلى مـهبُّ

ما اعتـذاري اذا خبتْ لي نارٌ و حبـيبي أنوارُهُ ليس يَخـبُّوا

ملأ الكـون حـــسنه فلـهذا كلّ قلـــب الى معاينة يصبوا [2]

و بهذا استطاع عفيف التلمساني أن يصل إلى مصاف الشعراء الكبار في استنبطان أنفسهم و أرواحهم و استخراج ما بها من تجربة حب،بحيث ذهب الصوفية إلى أن الغرام بالمحبوب أم محقق، و السلو عنه ضرب من الخيال، فالغرام قد هذب نفس المحب، وجعله منقادا للمحبـوب ،متلذذا بالعذاب بين يديه وهذه الروح قد سادت الأبيات فجعلتها متناسقة مترابطة تعبر عن شعـــور واحد و هـــدف واحد و طريق واحد هو الطريق إلى الله، الذي شغلهم حبه عن كل ما سواه .

[1] ديوان العفيف التلمساني . تحقيق العربي دحو، ديوان المطبوعات الجامعية 1994، ص 219

[2] المرجع نفسه، ص08

1ـ2التوتير : Protensivite:

هو المحرك الأساسي الذي يؤدي إلى اللإمساك بشيء ما ويعني " توجه ضمن حقل التوترات المحسوسة و هي مقولة مستوحاة من فينومينولوجيا " " هوسار " و تشير إلى توجه نحو الموضوع واستهدافه يعتبر استهدافا للكتلة الاستهوائية و الدفع بها إلى التـــجسيد في حقل من التوترات المرئية و هذه التوترات هي البدايات الاولى التي تقوم عليها أشكال التركيب المسؤولة عن تشكل الأهواء في انفصال عن الإستهواء و استنادا إليها في الوقت ذاته، ويعد الممر الضروري لولادة التكليفات [أرغب في، أعرف، أستطيع .....] و الصيغ الأساسية التي تحدد علاقة الذات بعاملها، فهي حركة مكملة للانفعال لا خالقة له،[1] أي توتير هو جسر رابط يؤدي إلى ولادة كل رغبة أو فعل، فهو مقياس الحكم على العلاقة بين الذات و العالم، فالتوتير مكمل للاستهواء، فالأول متصل بالتوترات أما الثاني مرتبط بالجسد و الجمع بينهما يعطينا انفعال، يحتوي الشعر الصوفي على رقائق و رموز و مواجيدو اشارات و حكم تدفع الصوفي لمزيد من العشق و الحب و الاشتياق لمحبوبه فهو جميل في عباراته، ومشرق في أسلوبه و أفكاره عبروا فيـها عن أذواقهم و أحوالهم وأشواقهم، تعشقوا فيها الذات العليا و كانت فلسفتهم مبنية بالذات على الحـب المطلق الغير مقيد بالنغم و الســماع الذي يضفي طابع الانكسار و الخضوع لله تعالى،[2]وبناءا على ذلك فالشعر الصوفي في حقيقته و تجلياته يستند إلى الحب الإلهي، الذي هو أصل وجود الحب في العالم، و قد خاض أبو مدين الغوث في التجربة الصوفية و تعلق بالذات العليا تعلقا أفناه عما سواه، و صعقته تجليات الذات فنراه لا يتصور حياة دون مطالعة أنواره، و استشراف عرفانه، و دوام اتصاله، فيصف أبو مدين حبه للذات الإلهية بأن البعد عن المحبوب موت و القرب منه حياة، ولا يتصور غياب تجليات الذات عنه لنفس واحد، فنجد ذكر الحبيب في مجلسه أنه يصيبه

[1] غريماص و جاك فونتيني، سيميائيات الأهواء " من حالات الأشياء إلى حالات النفس، ص 30 .

[2] أبومدين ـ ديوان أبو مدين شعيب الغوث، شعر و تصوف، لبنان، 2011 ـ 1432، ط1، ص37.

بالرعدة و الإهتزاز و عدم الإستقرار لعدم القدرة على التحمل و الصبر، وذلك تعبيرا منه عن وجده باهتزازه اذا ذكر اسم محبوبه، [1]نعلل هذا الإهتزاز لما يعانيه من حرقة الحب الذي استقر في قلبه، فإذا ما سمع الشادي يشدو باسمه اهتز شوقا للقاء ،فيقول بلغة عذرية صوفية عن مواجيده تجاه الذات الإلهية :

تَضَيُّقٌ بِنَا الدُّنْيَا إذاَ غِبْتُم عَنَـــا وَتَـذْهَبُ بالأشواقُ أَرَوَاحَنَا مَـــنَّـا

فَـبـــعْدكُمْ مَوْتٌ وَقُرْبُكُمْ حَـــيا فَإِنْ غبتمْ عَنَا وَلَوْ نَفْـــسًا مُـــتْنَـا

نُمَوِّتُ بِبَعْدكُمْ وَنَحَّيَا بِقُـرْبِكُـــمْ وَإِنْ جَـاءَنَا عَنكُمْ بَشيرَ اللقا عِـشْنـاَ

وَنَحّـــيَـا بِذَكَرِكُمْ إِذَا لَمْ نراكـــم أَلَا إِنْ تَذْكَـــارُ الأحبة يَـنـعْـشُـنَا

فَـلـــوْلَا مَعَـــانِيكُمْ تـرَاهَا قُلُوبَنَـا إذاَ نَحـــنُ أَيقَاظُ وَفِي النُّوَمِ إِنْ غنْنـاَ

لمَتنا أسّى من بـعدكم و صبـــابـة ولكن في المـعنى مَعَانِيكُمْ مَعْنَـــى

فَقُـــل للذي ينهَى عَنِ الوجد أَهْلَهُ إذا لَـمْ تَذُقْ مَعْنى شَرَابِ الهَوَى دَعْنَا[2]

إنه تعلق ذاك العاشق الواله الفاني عن ذات محبوبه، فلا يرى في الوجود سواه، فحياته بذكر محبوبه و هو غاية مطلوبه، يعيش مستغرقا استغراقا تاما في التجليات ليبقى قريبا منه على الدوام، و هذه هي الحياة، تدوم بدوام الاتصال التي تجعل الصوفي معمرا وقته بمحبوبه، فكل حركة و سكون و شكل يرى فيها محبوبه، مهما كان ذلك الشيء، و الحب الصوفي يفنى بجمال الذات الإلهية، و نجد هذا حاضرا بقوة في شعر التلمساني أبو مدين الغوث بقوله :

فـالعَارِفونَ فنوا ولمَّا يَشْـهَـدوا شَيئاً سِوَى المُتَكَبِّرِ المُـــتَعـــال

ورأوا سِواهُ عَلَى الحَقِيقَةِ هَالِكـاً في الحَال والمـــاضِي والإسْتِقـبال

[1] المرجع السابق ، ص 37، ص38.

[2] أبو مدين . ديوان أبو مدين بن شعيب الغوث، مجموع الأمداح مخطوط الخزانة الحسنية ،د ط، 2896، ص59.

فالمَحْ بِعَقْلِكَ أو بطِرَفك هَلْ تَرَى شَيْئاً سِوى فِعْلٍ مِنَ الأفْعَال

وانظُر إلى عُلُو الوجُودِ وسُفْلِه نظراً تؤيّدهُ بالإسْتِدْلالِ

تَجِد الجَمِيعُ يُشيرُ نحو جلالِه بِلِسَان حَالٍ أو لَسَان مَقَال

هُوَ مُمْسك الأشْيَاء مِنْ علوٍ إلى سُفْلٍ ومُبدِعُها بغيرِ مثَالِ[1]

هذا حال المحبين إذا ذكر المحبوب يحن شوقا، ولا يرى استقرارا و هو مرض العشاق، كالذي أصاب أبو ضخر الهذلي من زلزال يهز أعماقه، و يرج قلبه، إذا ما ذكرت ليلى، فتأخذه الرعدة و كأنما أصابه مس و جنون فيقول :

و إنّي لَتَعْرُوني لِذِكْرَاكَ هُزَة كَمَا انْتَفَضَ العُصْفور بَلَلَهُ القَطِرُ

فيَا حُبَها زِدْنِي جَوىً كُلَ لَيْلةٍ و يا سَلْوة الأيَام مَوعِدك الحَشْرُ

أما وَالَّذِي أبْكى وأضحك وَالَّذِي أمات وَأَحْيَا وَالَّذِي أمره الْأَمر[2]

يلتقي أبو مدين الغوث مع العذرين بجنون الحب، بل إنه يوافقهم في شعره كما هو مثبت في ديوانه، و هذه سمة بارزة في شخصيته، فهو الذي عرف محبوبه حق المعرفة، و هذه المعرفة في حقيقتها تعبير وجداني خالص يصل اليه العبد من كثرة ارتباطه و اشتياقه لمحبوبه، فالحب الإلهي يشق عظيم من الإحساس الروحي، الباطني الذي يسمو به المريد صاحب الطريقة الوجدانية، إلى معان العشق و الحب الالهي، يستشف من الشاعر الصوفي أبو مدين و سيرته الحافلة بالحب و الوجدان، أنه كان يشبه العذريين في حبه لله تعالى، و أنه إستطاع الوصول إلى الحقيقة المطلقة التي كان يبحث عنها منذ نشأته،

[1] أبو مدين بن شعيب الغوث، الديوان ، حياته ومعراجه إلى الله، ص 112-113

[2] مرجع نفسه، ص 114

فحاول مجاهدة نفسه و مكابدتها بغية استشعار الحب الإلهي و تذوق معناه، [1]نستخلص أن هذا ما جعله يرتقي بشعره الصوفي إلى حب ربه محبة حقيقية خالصة مكنته من العشق الإلهي للمولى عز وجل.

1ـ 3 النظير : valence

هو مقولة مستوحاة من " الكيمياء " وتعني عدد الذرات المضافة إلى تركيبة الجسم، أما في السياق السيميائي تدل على المحددات الانفعالية التي يفرضها الموضوع، أي القيمة التي تمنح للهوى في إطار موضوع ما " و لعل خير مثال على ذلك المنزل مثلا : فهو يدل على قيمتين أولها القيمة المادية ثمن المنزل، و هذا بالنسبة للمعنى السطحي، أما المعنى العميق فيتجلى في القيمة المعنوية المتمثلة في تلك الذكريات التي مرت في ذلك المنزل، بمعنى أن النظير هو تلك الإنفعالات التي يحددها موضوع ما،[2] أي من خلال الموضوع يمكن أن تكتسب تلك الإنفعالات و الأهواء قيمتها و مكانتها .

1ـ4 المآل المصير : devenir :

هو ما تنتجه التوترات الناتجة عن الإستهواءات عبر عملية إنتقالية من مرحلة إلى أخرى في ظل جملة من التغيرات المتصلة، فالوليد ليس كذلك إلا من خلال إسقاط حالات مستقبلية تضم الصبا و الشباب و الكهولة و الشيخوخة و ما يليها، فالمآل مقولة مركزية في تحليل الهوى، من حيث امتداده المستقبلي،[3]استنادا إلى ما تم ذكره من مفاهيم أهوائية يمكن القول بأن الأهواء قد أثمرت طاقتها ومعناها الدلالي من خلال الاستهواء، التوتير، التنظير، المآل، المصير، وعلى هذا الأساس يتحقق الهوى، و فشيئا بدأت تتضح معالم سيميائيات الأهواء إنطلاقا من فهم و تحديد مفاهيمها الأساسية .

---

[1] أبومدين ـ ديوان أبو مدين بن شعيب الغوث، ص 213

[2] غريماص و جاك فونتيني، سيميائيات الأهواء " من حالات الأشياء إلى حالات النفس،ص32، 33

[3] ينظر غريماص و فونتاني، ص 35

يشير الكاتبان " **غريماص** " و " **فونتيني** " إلى مكونات كل هوى، إن يتكون هوى الغضب عند غريماص من ثلاث وحدات هي : الإحباط، الإستياء، العدوانية فهوى الغضب لم يستمد أهميته إلا في ظل سيميائيات الأهواء التي كانت بدورها لها أهمية كبيرة في وصف الأهواء، مضيفا بذلك غريماص بعد أخر إلى جانب البعد التداولي المعرفي ألا و هو البعد الانفعالي tymique الذي يركز على النفس بدل العقل و ربط البعد الإنفعالي بمصطلح باتيميpathimiqne الذي يتكون من لفظين path وهي : الحالات الغير الطبيعية و tymique التي تدل على الانفعالي، و تحتل مظلة هذين البعدين مكانة تظهر في شكل ثنائية بين الذات و العالم، هذا الأخير الذي يخرج عن دوره من حالة الأشياء ليرتبط بحالة الذات،[1] من هنا يمكننا استنتاج معادلة بين حالات الأشياء و حالات النفس على حد تعبير غريماص و تلميذه جاك فونتني .

الجانب التطبيقي الذي اعتمده غريماص و فوتيني :

تناول المؤلفان في كتابهما " سيميائية الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس " **هووين** الأول : **ذاتي** هو " البخل " ، أما الثاني **بيذاتي** و هو ""الغيرة ""

أولا : هوى البخل : فقد انطلقا المؤلفان من التعريف المعجمي، وهذا بانفراد كل دلالة معجمية لوحدها بانتقاداتها و ترتيباتها و وجودها في الخطاب و هذا من خلال منحها مفهومها خاصة بها داخل القاموس المعجمي، في ظل التحليل الدلالي المعجمي،" والبخيل عند الناس، ليس هو الذي يبخل على نفسه فقط، قد يستحق عندهم اسم البخيل، و إنما يقع عليه البخيل إذا كان زاهدا وإدخر الأجر [2]

[1] ينظر غريماص و فونتاني ص 35

[2] الجاحظ , رسائل الجاحظ، ج 3 ، تح / عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل بيروت ، لبنان ، 1991 ، دط ، ص184

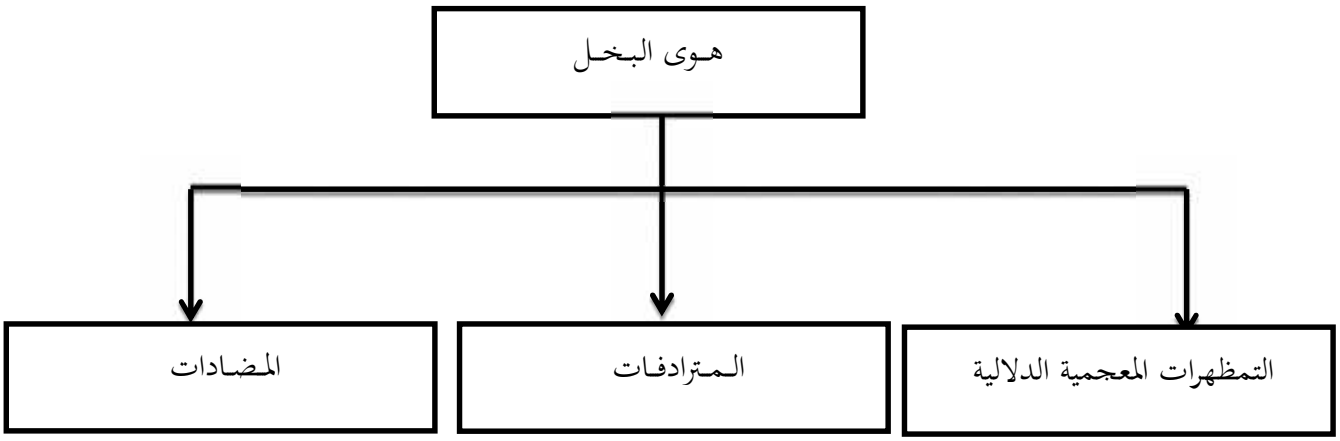

1. الانجاز [التعلق]
2. التكديس ""التخزين "
3 ـ الحفاظ
4 ـ الكسب
5ـ الأخذ

1ـ الجشع
2 ـ الشره
3ـ النهم
4ـ الطماع
5 –الضنين
6ـالكاسر
7 ـالفضولي
8 ـالشح و الحرص
9ـالتقشير
10 ـ التقشف
11ـ الادخار و الاقتصاد

1ـ التبذير
2 ـ الإسراف
3ـ الانفاق
4ـ الاهمال
5 ـ الترك
6 ـ السخاء
7 ـ الامبالات
8 ـ الجودة /العطاء

يعد هوى البخل نظاما حكائيا يدور في مجمله على محور جمع المال و الاحتفاظ به من خلال اشتغاله من زاوية البعد التداولي، كونه موضوعا قابلا بالدراسة لمجالي التخزين و الاستهلاك .

ثانيا : هوى الغيرة:

يعد هدف الباحثان **[غريماص و فونتيني]** من دراسة هذا الهوى باعتباره هوى بيذاتي مكملا لهوى البخل، وبمثابة نتائج متوصل إليها لفك شفرات الموضوع ذاته، و يتمحور هوى الغيرة على الثالوث الأساسي : [الغيور، الموضوع، الغريم] والغيرة في نظرهما تتمحور على امتياز كونها تكشف منذ التجلي المعجمي للتمظهر، عن مشهد هووي بأدوار متعددة مودعة في الخطاب و يتعلق الأمر بخليط من الإستراتيجيات، تفاعل حقيقي يتوفر على قصة و مآل،[1] من خلال العوامل الثلاثة [الغيور و المحبوبة الغريم / يستنتج لنا علائق و أبعاد دلالية استهوائية و من خلال السيمات التوليدية للغيرة في قاموس سيتبين ما يعتري الغيوم من أهـــواء على نحو [الريبة، القلق و الخشية تحدث تشويشا على هوى الحب و هذا ينعكس سلبا على رغبة " المحبوب " فيفقد " الغيور " السيطرة على موضوع .و من هذا المخطط يمكننا تبيان العلاقة التي ينطوي تحتها هوى الغيرة و التي نجملها فيما يلي :

[1] محمد الداهي : سيميائية الأهواء ، ص 215

* يرمز ذ1 إلى الذات الأولى [الغيور] و ذ2 إلى الذات الثانية [المنافس] و ذ3 إلى الذات الثالثة [المرأة ـ موضوع المنافسة].

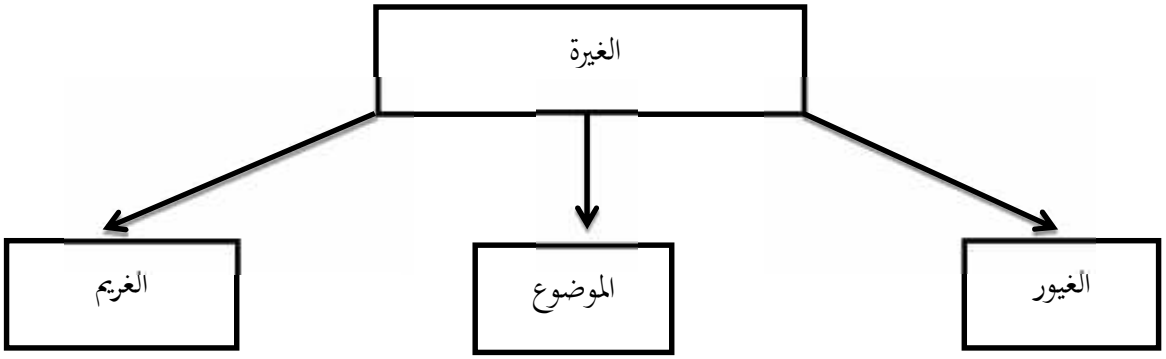

ذ 1 الفاعل ذ3الفعل ذ2 العلاقة بين الفاعل و الفعل و موضوعه

المنافسة التي تولد الغيرة [المرأة] باعتبارها الموضوع المتنافس عليه

الفصل الثاني :تجليات الأهواء في ديوان أبو مدين شعيب التلمساني

1- دلالة عشق الخمرة

2- دلالة عشق المرأة

3- هوى الحب الإلهي

4- هوى الخوف

ا– تجليات الأهواء في ديوان أبو مدين شعيب :

1–سيميائية عشق الخمرة و دلالاتها العرفانية :

لقد استعمل الصوفية لفظ الخمرة وما في معناه بمفهومات من بينها الإشارة إلى الذات الإلهية والإشارة إلى الأسرار والتجليات الإلهية والإشارة إلى الحب الإلهي، والإشارة إلى حقائق الغيب والإشارة إلى التصوف أو علم التحقيق وغيرها من المعاني،[1] و أول ما يشد انتباهنا ونحن بصدد شعر **أبو مدين شعيب** توظيفه لرمز الخمرة في ثنايا قصائده،بل أفراد قصيدة مطولة لهذا الموضوع وهي خمريته التي بلغت خمسين بيتا " 50 والملاحظ أن شعر الخمر " قد اخذ على يد الصوفية كما اخذ من قبل شعر الغزل أسلوبا رمزيا حافلا بالثّراء،يلوحون به على طريقتهم، إلى مجموعة ثابتة من المعاني الذوقية، وقد أعطى الصوفية هذا المعجم الخمري دلالات جديدة خرجت بالخمر إلى دائرة الرمز الصوفي، "[2] حيث وجد الصوفية أن الخمر تعبر عن مرحلة الحضور فهي تحقق لهم الوصول إلى الحضرة الإلهية، كما يكشف لنا هذا التوظيف الصوفي للخمر، عن العلاقة بين الخمر المجردة والحسية.فهذه الأخيرة معروف أنها [شراب مسكر بسبب التخمر و بسب تخذيرها للوعي البشري، و أن الخمرة المجردة باصطلاح الصوفية هي ذوق المحبة الإلهية، و العلاقة بينهما علاقة متشابهة في الفعل، الناتج عنهما، لا في الماهية والتكوين إذ أن فعل شرب الخمر المادية عند الخمار تشابه ذوق المحبة الإلهية عند الصوفي] [3]فلعل ذلك التشابه بين الحالتين هو الذي دفع الصوفية إلى اختيار الخمر كرمز يعبرون بواسطته عن حالة الوجد الإلهي، فيغيبون عن ذواتهم، لتتجلى لهم أنوار الذات الإلهية .

---

[1] حسن الفاتح قريب الله . المفهوم الرمزي للخمر عن الصوفية الدار العربية للكتاب، ط 1، 1999، ص178...

[2] عاطف جودة نصر، شعر عمر بن الفارض، دراسة في فن الشعر الصوفي، دار الأندلس، لبنان،ط 1، 1982 ص 131

[3] مختار حبار، شعر أبو مدين التلمساني [الرؤية والتشكيل]، اتحاد الكتاب العرب، اتحاد كتاب العرب، دمشق . 2002 ص 100.

يقول أبي مدين شعيب مصورا التفاوت الشّاربين إزاء التجليات النورانية :

قُمْ يَا نَديمِي إلى المُدامَة واسْـقِنَا خَـــمْراً تُنير بِشُــرْبهَا الأرواحُ

أو مَا تَرى السَّاقِي القَديـمَ يُديرهَا فَكَأنَّهَا في كَأسِها المِصْــبَاحُ

هِي أسْكَـرَتْ فِي الخُلْد آدمَ مَرّةً فَـكَسَته مِنْها حُلَّةٌ و وشَـــاحُ

وكَذَاك نُـوحٌ في السَّفِينَة أسْكَرَتْ وله بِذاك تأَنٌ و نُـــــــواحُ

لمَّا دَنا مُوسَى إلى تَسْمَاعِهَـــا أَلْـقَى عَصَاه وكُسِرّت ألــواحُ

وكذا ابنُ مَرْيم في هَواهَا هَائِـمٌ مُتولّعٌ بِشَـــرابِهَا سَيّـــاَحُ

ومُحمّدٌ فخــرُ العُلا شَرَفُ الهُدَى اخْتاره لِشَرَابِها الفتـــــــاحُ[1]

فأول خصّيصة يمكن أن نلاحظها في تعامل الشاعر مع هذا الرمز هو استعانته بكل عناصر الصورة الخمرية حيث [وظف نفس الألفاظ التي نجدها بشعر الخمر الحسية كالندمان و الحواني و الدنان.][2] و أن تفاوت الشاربين في الخمر الحسية من حيث درجات السكر كتفاوت الشاربين في الخمر المجردة، بل حتى الأنبياء والرسل عليهم السلام يتفاوتون أمام التجليات الإلهية ... نتيجة لتفاوت الصفاء مجاليهم فأدم عليه السلام لم يصب نصيبه إلى مرة واحدة في عالم الخلد قبل الهبوط، و نوح عليه السلام ذاق منها رشفا في السفينة، فظل بذلك يأن وينوح عليهما بينما أصيب موسى عليه السلام بالصعق لما تجلى له ربه في الجبل .فالخمر الصوفي إذا هو محبة الله تعالى و بالتالي فإن " المحبة الإلهية هي موضوع الإسكار، و هي البديل الخمري الذي يسبب النشوة و الفرح الروحيين و الصوفي في حالة

[1] أبو مدين التلمساني، الديوان ، ص52

[2] عاطف جودة نصر ، شعر عمر بن الفارض ، دراسة في فن الشعر الصوفي، ص 131

وجده بالمحبة أو في حالة تجلي الحق عليه بالمحبة، يغمره فيض من اللذة الروحية تطغى على كل كيانه، ويستثير الإنشاء بها حركة في البطن لا يتمكن من مدافعتها فتظهر العربدة على الجوارح] [1] وقد يذهب بهم الوجد مذاهب شتى، و هو في هذه الحال قد يقول كلاما ينكره في حال الصحو، و قد اصطلح عليه الصّوفية بالشّطح وبيان ذلك [أن الشطح في لغة العرب، هو الحركة، يقال : شّطح يشطح إذا تحرك] [2] فاذهب وعيه و الصوفي في حال شطحه تختلط عليه اللغة، ويقول كلاما مختلطا .و الخمرة الصوفية عند أبو مدين تتميز بعدة خصائص ومميزات كالقدم والصرف المحظ، و عدم اشتقاقها من مصدر كالكرم مثلا فهي ليست كالخمر الحسية الممزوجة، و المزج ينقص من شأنها و مفعولها في الشارب، كما أنها مشتقة من مصدر كالكرم وغيرها و كل ذلك يحط من شأنها، **يقول أبو مدين واصفا خمرته :**

أَدِرْهَا لَنَا صِرْفًا وَ دَعْ مَزْجَهَا عَنَّـا فَنَحْنُ أُنَاسٌ لاَ نَعْرِفُ الْمَزْجَ مُذْ كُنَّا

وَ غَنِّ لَنَا فَالْوَقْتُ قَدْ طَابَ بِاسْمِهَا لأنَا إِلَيْهَا قَدْ رُحْنَا بِهَا عَـــــنَّا

إلى أن يقول :

هِي اَلْخَمْرُ لَمْ تَعْرَفْ بِكَرَم يَخُصُّهَّا وَ لَمْ يُجِلْهَا رَاحٌ وَ لَم تَعْرِف الدُّنَّا

لَهَا كُلُّ رُوحٍ تَعْرِفُ العَهْد عَهْدُهَا و في كُلَّ قَلْبٍ جَاهِلٍ للسِّوى مَغنَى

مُشعْشَعَةٌ يَكْسُو الوُجوهَا جَمَالهَا وَ فِي كُل شَيْ مِنْ لَطَافَتِها معنى [3]

---

[1] أمين يوسف عودة ـ تجليات الشعر الصوفي ، [قراءة في الأحوال والمقامات] المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط 1 2001. ص 338

[2] أبو النصر السراج الطوسي ـ المع ـ تحقيق عبد الحميد محمود ـ طه عبد الباقي سرور ـ دار الكتب الحديثة ومكتبة المثنى / 1960 ص 453

[3] عاطف جودة نصر ـ الرمز الشعري عند الصوفية ـ ص 359

فهي زيادة إلى قدمها و صفائها و خلوصها، لم يجلها راح و لم تحوها دنان، فهذه الخمرة الصرف رمز للوصول بعد مجاهدة و مشاهدة ذات الحضرة الإلهية و نقرأ من خلال تلك الأوصاف التي أضفاها الشاعر على خمرته العرفانية كوصفها بالتشعشع و اللطافة و رقة الجوهر، بأن المحبة الإلهية نورانية في جوهرها لأن موضوعها نور خالص، و يقول متحدثا عن قدمها :

لـــها القِدَمُ الَمحْضُ الذِي شُفِعَتْ بِه بَقْاءً غَدَا يُغَنِي الزَّمَانَ و لا يُفْنَى

بَعِيد ويِبَدي فِعْلَها كلُّ مُـحـــــدَث وكُلَّ قَدِيمٍ فَهي قَد حازتْ المعنَــى[1]

ورد لفظ الخمر في قصائد أبي مدين شعيب في أربعة عشر بيتا معظمها مرتبطة بالغزل الالهي، أمّا خمريته و هي من أطول قصائده، حيث بلغت خمسين بيتا تناول فيها الخمر من شتى جوانبها، كذكر صفاتها، مصادرها، أوانيها،و يندرج تحت رمز الخمر المدامة و الشّرب و السّكر، أما ما ينضوي تحت معجم المدام في قصائده، قوله :

والكأس ترقصُ والعقار تشعشَعَــت والجَوُ يضْحَك والحَبِيبُ يُزارُ

والعودُ عادات الجميل وكأســـنُـا كاسُ الكياسةِ والمقارُ وقـارُ

سَقَانِي الْهَوَى كَأْسًا مِنَ الْحُبِّ صَافِيًا فَيَا لَيْتَ لَمَّا سَقَانِي سَقَاكُمُ

قُمْ يَا نَدِيمِي إلى المُدامَة واسْقِـــنا خمراً تُنير بشُـــربِها الأرواحُ

[1] المرجع السابق ص 359

أما الشرب و السكر فينضوي تحت معجمه قوله :

فإنّا إذا طبنا وطابت عقولُنـــــــا وخامَرنا خمرُ الغرام تهتَّكنا

فصن سرَّنا في سكرنا عن حسودنـــا وإن أنكرَت عيناك شيئاً فسامحنا

فلا تلم السكران في حالِ سُكـــرهِ فقد رفع التكليف في سُكرِنا عنّا[1]

ظـــــهرت لي بجـــــــمال فـشربي زاد و عـــــــــلا [2]

و شَـــرَابُنَا من لُطفه و غنـــاَؤنَا نِعْم الحَبِيبُ الوَاحِدُ القْهَّـــــــار[3]

و إذا مارحنا تقتفي أثر ألفاظ هذين المعجمين، نجد أن الشاعر وظف من المفردات ما يتصل بأسماء الخمر و قد ذكر منها على سبيل المثال [المدامة، العقار، الخمر ..... الخ] و ألفاظ أخرى تخص أوصافها مثل [المزج، الصرف، القدم المحض، الصفاء ..... الخ] و مفردات تتصل بالشاربين المعاقرين لها مثل [الندمان، الخمار، الساقي ....الخ] ومن خلال هذا التوظيف الواعي للخمر و كل ما يتعلق بها يجعلنا نقول أن الخمر صارت من أهم الموضوعات المتكررة في شعر الصوفية، و لقد كان لاستلهامهم هذا الموروث دور مهم في التعبير عن أحوالهم، و الكشف عن مواجيدهم و شدة تعلقهم بالذات الإلهية .

2ـ سيميائية عشق المرأة و دلالاتها :

أهاب الصوفية بالمرأة كرمز للجمال الأرضي المطلق، معبرين من خلالها عن حبهم و تعلقهم بالذات الإلهية و اتخذوا منها قالبا يصورون من خلاله وجدهم وعشقهم للذات العليا : و هذا الإستلهام الصوفي لا يتجاوز الحال أي حالة الحب و العشق الشديدين التي يكون عليها المحب و شعوره

[1] الديوان أبو مدين التلمساني، ص60

[2] المصدر نفسه، ص62

[3] المصدر نفسه، ص63

اتجاه من يحب فالصوفية أثناء توجههم للذات العليا و مناجاتها و ندائها و التعلق بها، يتجاوزون علاقة العابد بالمعبود و المخلوق بالخالق إلى علاقة العاشق بالمعشوق، بحيث تكون رغبة الاتصال و التشوق له، أمرا يغلب على الصوفية حتى يغلق كل المنافذ أمامه و حتى يترك كل ما عدا المحبوب، من أجل أن يخلص له وحده]،[1]وهم في ذلك كله يخالفون العشق الأراضي على اعتبار أن حبهم و عشقهم هو لله وحده، وشق أبو مدين شعيب لنفسه طريقا سالكا يبغي بارتياده الوصول إلى ما ظلت قلوب الصوفية تحقق لأجله، و نفوسهم تهفوا للوصول إليه و هو التجلي الإلهي، ولم يشد أبو مدين في هذا الموضوع فوظف معجما لغويا يظم معظم ألفاظ الحب المتداولة بين الشعراء،ولعل أو ما يشد انتباهنا في شعر أبي مدين، أنه لم يوظف المرأة توظيفا مباشرا أي بذكر اسم مؤنث ذكرا صريحا كما فعل ابن الفارض أو ابن عزي، فلا نكاد نعثر على اســـم الأنثى في قصائده إلا في موضعين اثنين مـن نونيته [الخمرية] و اسم في موضع آخر يقول :

تقوّل ناسٌ قَدْ تملّكه الهـــوَى أجَلْ لَسْتُ في لَيْلى بأوّل من جُنَّا

خَفيت بِهَا عَنْك لّما علم الورى وأُظهِرُ لبنى والمراد سوى لبنـــَى

وإنّي كما شاء الغرام موحّـــــد وإن ملت تمويها إلى الرّوضة الغنَّا

يذكّرني مرّ النّسيم..بعرفهـــــا ويطربنِي الحادي إذا باسْمها غنَّى

ولا عَجَبٌ مِني الحَنينُ وذو الهَوى إذا شَاقَه شوقٌ إلى قَصده حنّ[2]

شبه الشاعر نفسه في الإثبات السابقة بالمجنون في قوله : أجل لست في ليلى بأول من جن .

[1] أماني سليمان داود، الأسلوبية والصوفية، دراسة في شعر الحسين بن منصور العلاج . دار مجدلاوي، عمان ، الأردن ،ط1/ 2002، ص 155

[2] عاطف جودة نصر . الرمز الشعري عند الصوفية ص168

حيث صار الجنون مقياسا دالا على مدى حبّ الصوفي و عشقه للذات العليا، ويقول في مقطوعة أخرى من أربعة أبيات :

طَال إشْتِياقي و لا خِلٌ يُؤانِسُـنِـــي و لا الزَمَانُ بمَا نَهْوى يُوافينـــي

هَذَا الحَبِيبُ الذِي فِي القَلْبِ مَسْكَنَهُ عَلَيْه ذُقْتُ كُؤُوس الذُّلَ وَ المِـحَنْ

عَلَيْهِ أنكَـرَني مِنْ كَانَ يَعْرِفُنِـــــي حَتى بَقَيتُ بِلا أهْـل ولا وَطَـــن

قَالُوا جُنِنْت بِمَن تَهْوى فقُلت لـهمْ ما لَذَة العَيْش إلا لِلْمَـــجَـانِينْ[1]

استوحى الشاعر فيها تجربة المجنون " قيس بن الملوح " استوحى فيها ما عانته تلك الشخصية من فراق و شوق و تبدل حاله و بقاءه أهل و لا وطن " و لعل تحول شخصية قيس بن الملوح في الأدب الصوفي إلى شخصية ذات طابع جنوني يظهر لنا الصلة الوثيقة بين الغزل العذري و الحب الصوفي، حيث لم يكن للمجون في الأصل معنى سوى التعبير عن استغراق قيس في عاطفته و طغيان هذه العاطفة على جوانب شخصيته، "[2]يقول قيس بن الملوح مصورا عشقه ليلى و استعذابه كل شي في سبيل حبه لها :

أُحبُّـك يـا لَـيلـى مَـحَـبَّةَ عاشقٍ عَلَيه جَميعُ المُصعبات تَهونُ

أُحِبُّـكِ حُـبـاً لَـو تُحِبّـيـنَ مِثلَـه أَصابَكِ مِن وَجدٍ عَلَـيَّ جُنـونُ

أَلا فَـارحَـمـي صَبّاً كَئيباً مُعَذَّبـاً حَريقُ الحَشا مُضـنى الفُؤادِ حَـزينُ

قَتيلٌ مِنَ الأَشـواقِ أَمّا نَـهـارُهُ فَبـاكٍ وَأَمّا لَيـلُهُ فَأَنـيـنُ

فَيا لَيتَ أَنَّ المَوتَ يَأتي مُعَـجِّلاً عَلى أَنَّ عِشـقِ الغانِياتِ فُتونُ[3]

[1] أبو مدين التلمساني، الديوان ، ص66

[2] عاطف جودة نصر ـ الرمز الشعري عند الصوفية ص 118

[3] ديوان مجنون ليلى : شرح / د. يوسف فرحات ، دار الكتاب العربي ، بيروت ط4 199 ص 185.

فكما إستعذب العذريون و على رأسهم المجنون، الألم و المعاناة و القسوة على أنفسهم في سبيل من يحبون، استعذب المتصوفة الأمر نفسه لكن فسبيل رضا الله و نيل قربه،يقول أبو مدين شعيب معبرا عن شدة ما يقاسيه من لوعة الحب و قسوة الجفا :

أَتَيْت لِقَاضِي الحُبِّ قُلتُ أحبِّــتي جفُونِي وقَالُوا أنْت في الحُبِّ مدّعِي

وَعِنْــدي شُهُودٌ للصَبابةِ والأســـيَز كّــتونَدعوايَا إذا جئتُ أدَعِـــي

سُــهَادِي ووجدي واكْتِئابي وَلَوْعَتِي وشَوقِي وسَقَمِي واصْفَرارِي وأدْمُعِـــي

ومِنْ عَجَبٍ أني أُحِنُّ إلَيْهِـــــم واسألُ شَوقاً عَنْهُم وهمُ مَعِـــــي[1]

فالشاعر يقدم لمحبوبه أدلة على صدق حبه، و ما تلك البراهين التي تدل على قوة عاطفته إلا براهين جسمية متمثلة في [السهاد و الاكتئاب و اللوعة و الشوق، السقم، الإصفرار و كثرة البكاء] ومن الضمائر التي وظفها الشاعر في شعره الغزلي و يشير بها إلى من يحب [كاف الخطاب]، كقوله في هذه الأبيات معبرا عن ألمه من جفاء محبوبه و هجره له :

قَدْ زَادَ فِيْكَ مِنْ الغَرامِ تلهّفــي فإلى متى هذا الجَفَا يا مُتَلَفِـــــي

في ٱلْقَلْبِ نْيرَانُ الجفا قَد أَشْعلَتْ فَمَتَى بِوَصْلِـــكَ نَارُ قَلْبِي تَنْطَفِـــي

و إلى متى هَذَا التَجَني و القِلَـى قَعَسَى المَعْنى مِنْ وصَالِكِ يَشْتَفِي[2]

فنراه هنا يخاطب محبوبه بتوظيف ضمير المخاطب، في قوله [فيك،وَصْلِكَ، وِصَالِكَ] لنؤكد على أن قصائده الغزلية معظمها تنحو هذا المنحى أي بدون ذكر صريح للفظ الانثى فكأنه يتجه بخطابه الغزلي

[1] أبو مدين التلمساني، الديوان، ص 60

[2] محمد الطاهر علاوي :العالم الرباني سيدي أبو مدين شعيب ، ص 165 نقلا عن المجموعة النبهانية في المدائح النبوية ج / 2 ص 379 / 380 وهي تنسب لأبو مدين

مباشرة "" إلى الذات العليا كاشفا عن حبه و وجده من غير وسائل رمزية،"[1]على عكس ما كان شائعا في بدايات شعر الحب الإلهي من ذكر الحبيب و بوحة باسمه الصريح كما فعلت [رابعة العدوية، و ذو نون المصري] و غيرهما، لكن أبا مدين آثر، كما آثر غيره من المتصوفة " عدم تجسيم الرمز و اكتفوا بالاسم أو ما ينوب دلاليا عن العنصر الأنثوي مصعدين رمزهم بهذا الأسلوب إلى مستوى دلالي يفوق المرأة نفسها و يتعالى عن عنصر الأنوثة المقيد بها،" [2] أن ابرز ما يمكن ملاحظته في المعجم اللغوي للرمز الغزلي هو أن لغته غزلية محضى مشكلة من القاموس اللغوي الذي اعتاد شعراء الغزل استعماله عند تعبيرهم عن الحب الإنساني .

3ـ هوى الحب :

عاش الشاعر الصوفي أبو مدين الغوث التلمساني تجربة الحب الإلهي فوجد ميدان الغزل الإنساني مجال للتعبير عن حبه لخالقه وكان أساس هذا الحب الإنجذاب الذي يكون بين المحبوب لعبده و حب العبد لخالقه و الحديث عن باطن النفس و أسرارها و ما تكنه من لذة حبها لخالقها، لتحقيق السعادة والسرور في صحة المحبوب، فيصف لنا الشاعر من خلال إشعاره الوصال و اللوغة و كل ما يمر به من أحوال و مقامات، يحمل في طياته الزهد في الدنيا و الإلهام القلبي و الفيض الرباني، ونجد أبو مدين شعيب كباقي الشعراء الصوفين رمز لوحي تلك التجربة التي عاشها و عبر عنها بأسلوب خيالي غير مباشر [3]

[1] أماني سليمان داود ، الأسلوبية والصوفية ،ص157

[2] أمين يوسف عودة ـ تجليات الشعر الصوفي [قراءة في الأحوال و المقامات] ص327

[3] بخوشة محمد ، كتاب الحب و المحبوب ، تلمسان ، دار ابن خلون ، 2004 ـ المرزوقي ، الأدب الشعبي ، الدار التونسية للنشر و التوزيع ، تونس ، ط 5، 1967 م ، ص 113

فنجده يقول :

إنّي إذا ما ذكــرتُ ربّ يهتزُّ شوقي إلى لقـــاهُ

طَابَتْ حَيَاتي وضاءَ قَلْبي بذِّكرِ ربّي جـلّ ثنـــاهُ

مَا ذَاقَ طُعْمُ الغَـــرَامِ إلَّا مِنْ عَرَفَ الوَصْلَ أو دراهُ [1]

هنا امتزج حب الشاعر بكلمة الذكر و الشوق، حيث لا يرى غير خالقه المحبوب حتى غاب عن نفسه من كثرة الذكر و الثناء و الشوق للقاء الله تعالى، كما تجلت نزعة الشاعر الغوث التلمساني الصوفية بخصوصية الألفاظ الساحرة التي عبر بها في قصائده [شوقي، ذكر، الغرام] والعبارات الرمزية الراقية الموحية لتعبير عن تلك العلاقة الروحانية .

[طابت حياتي] ⟵ دلالة على كثرة التودد و القرب إلى الذات الإلهية و المشقة إلى الفناء،أي إشتغاله عن الدنيا و ينفي وجوده فيها .

[ضاء قلبي] ⟵ يرمز إلى قلبه العاشق المغمور بالإحساس الروحاني الجميل .

[طعم الغرام] ⟵ يوحي إلى تذوق حلاوة الإيمان وإجهاد نفسه و إرهاقها ليحقق رضى محبوبه، كما يستمر [هوى الحب] عند الشاعر في حبه للرسول صلى الله عليه وسلم، فجاءت معظم قصائده مصطبغة بالمديح النبوي الذي يعبر عن مقام من مقامات الصوفية، فهو حب روحي تخلوه أي علة و هذه العاطفة هي عاطفة دينية صادقة تعبر عن إيمان الشاعر القوي و يكون الشاعر بذكر صفات الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم الخَلقية و الخُلقية، [2]يقول في هذا الصدد :

[1] أبو مدين شعيب، الديوان ، ص 46

[2] عاطف جودة نصر، الرمز الشعري عند الصوفية ص 371

وَصَلَّ إِلَهِي ثُمَ سَلَمَ على الذِي أَتَانَا رَسُولاً دَاعِيَاً و مُبَشِرَاً[1]

هنا عدد الشاعر الصفات الخلقية للرسول صلى الله عليه وسلم منها :

[داعيا ، مبشرا] ⟵ الدالة على أخلاقه و آدابه و شمائله مع أمته .

ويقول أيضا :

وَجْهُك يُغْنِي عَن مِصْبَاح لَيْلة الظَـــلام

و يومَ نراك نَـــــرْتَاح يَا بَدْرَ التَمَـــامْ[2]

يتبين من خلال هذين البيتين اهتمام الشاعر بتعداد وصفات النبي محمد صلى الله عليه وسلم و إظهار الراحة لرؤيته، فكان أحسن الناس و أجملهم، لم يصفه واصف قط إلا شبهه بالقمر ليلة البدر كان أحسن الناس وجها وأنورهم لونا يتلألأ تلألؤ الكواكب ومن الألفاظ الدالة على ذلك [مصباح، بدر] و يتواصل حديث الشاعر عن سيرة الرسول و حبه إليه الذي سكن روحه و جسده و أنه أفضل الخلق الله تعالى فهو سيد الأمة و خاتم الأنبياء فيقول :

فَأَنْتَ رُوحي و جسْمِي لاَ فَرْقَ عَنـْكَ وَ إلا

حَتَى إذَا مَا تَجَلَـــى هَوَاكَ فِي قَلْبِي حَـلاَّ [3]

ففي هذه الأبيات يبين لنا الشاعر أن مدحه للنبي صلى الله عليه وسلم خصوصي، ومن العبارات الصوفية الدالة على ذلك [روحي، جسدي، قلبي] الغرض منها أن حبه للرسول كسى جسده و روحه و هذا بالتقرب إليه و وصف مواقف الرسول التي هي المثل الأعلى للشاعر المتدين كما ورد في شعره ذكر الصحابة و آل البيت التي ذكرهم فيما يلي :

---

[1] أبو مدين التلمساني، الديوان ، ص 58

[2] المصدر نفسه، ص59

[3] المصدر السابق، ص 33

أَبِي بَكْر عَلِي وَ عُمَر ذَوي الْمَهَابَة

عُثْمَانْ بِإِسْمِه نَفْتَخِرْ مَعَ الـقَرَابَةْ[1]

يختزل لنا الشاعر في هذه الأبيات مدحه لآل بيت و الأصحاب فذكر لنا [أبي بكر، علي، عمر، عثمان] رضي اللهم عنهم و يفتخر بصحبتهم و أيامهم، و الآداب في مجالسهم و مواعظهم، فالشاعر أبا مدين التلمساني يفنى في حب محبوبه و لا يرى غير مجنونه، فكما يرى الباحثون أن الكثير من الشعر في مدح الرسول الكريم يندرج ثمن الشعر الصوفي الغـزلي أو الحب الصوفي من حـــــب الله و الرسول و الأماكن المقدسة، نجده في هذه التجربة الشعرية يعيش سفرا روحيا يخرج تلك المشاعر عند رحلته و يترجمها إلى محسوسات و كانت الرحلة من أكثر الموضوعات حضورا فكان الشاعر يصف تلك الرحلة من المجرد إلى المحسوس فيقول [2]

رَكَبْتُ بَحْراً مِنَ الْدُمُوعْ سَفِينَة جِسْمي النَحـــــيلْ

فَمَزَقَتْ رِيَحَهُ قُلُوعِي مُذُ عَصَفَتْ سَاعَةُ الرَحِيلْ.[3]

نستنتج من هذه الأبيات أن الشاعر الصوفي أبا مدين التلمساني يعيش غريبا في العالم المادي الذي يرغب فيه فهو يسمو إلى العالم الروحي وهو في شوق دائم للقاء المحبوب اذ يسعى دائما إلى عالم المحسوسات من خلال وصفه لتلك الرحلة .

4 ـ هوى الخوف :

من بين الأهواء التي كان لها حضور في قصائد أبو مدين التلمساني هوى الخوف،إنه انفعال لقوي غير سار، ينتج عن الإحساس بوجود خطر أو توقع حدوثه، فالخوف إستجابة لاحساس طبيعي

[1] أبو مدين التلمساني، الديوان، ص 80

[2] بخوشة محمد ،كتاب الحب و المحبوب ، ص 81

[3] أبو مدين التلمساني، الديوان ، ص 72

يشعر به الإنسان في موقف من مواقف التي تحدد حياته على درجات متفاوتة تتراوح بين الفزع، الهلع، و هو حالة من حالات إضطراب النفس الانفعالية، و مجمل الانحرافات السلوكية، ولعل السبب في استشارة هذا الهوى هو حالة الذات الإنسانية و ما يعتريها من تغير هذا الصراع الذي عاناه الشاعر و ولد عنده نوعا من التوتر على مستوى ذاته التي أرهقت كثيرا في التودد و القرب إلى الذات الإلهية إلا أنه يشعر بخوف يختلج نفسه الداخلية،[1] ومن المقاطع الدالة على الهوى الخوف نذكر :

يَا خَالقَ العَرْشِ الْعَظِيمْ يَاذَا الجَلاَلْ أَعْفُ عَنِي يَا كَرِيْم و الْطُف بِحَالِي

يَا عَالِم بالـــــخـــــفَـــا هَّـــــونْ عَـــلـــــيَّ

قَد قَادَنِي فِعْلٌ ذَمِيمْ إلَى المُحَالْ أُعْفُ عَنِي يَا كَرِيْمْ و ألْطُفْ بِحَالِي[2]

ينادي الشاعر ربه ذو الجلال و الإكرام الخفي المستر أن يغفر له ذنوبه فيما معنى بحرمة كل عزيز عنده، فتجد نبرة الخوف و الفزع طاغية و ذلك من خلال الأدعية التي استعملها الشاعر أبو مدين شعيب التي تعبر عنها الألفاظ التالية [أُعف، الطف، هون] ← غرضها طلب العفو و المغفرة،و يمتد هذا الخوف و يتسع عند الشاعر أبو مدين الغوث، فنجد الذات الإستهوائية تستشعر الخوف حيث يرصد فعل تحول الذات من هادئة مستقرة إلى ذات متوترة خائفة، و كان الخوف عارضا لذاته و هذا راجع إلى الخوف والخشوع من عقاب الله الشديد و التوعد بنار الجحيم نجده يقول :[3]

[1] عبد العزيز إبراهيم سليم، المشكلات النفسية و السلوكية لدى الأطفال، دار المسيرة للنشر عمان ، الأردن ،2011 ،ط 1 ،ص271

[2] أبو مدين التلمساني، الديوان ، ص 47

[3] أبو مدين التلمساني، الديوان ، ص 272

إمْنَعْنِي مِنْ نَار الجَحِيم يَا ذَا المَعَالِي أعْف عنَي يا كريم والطُفْ بحالِي [1]

نرى في هذا البيت أن شاعر يتوسل ويترجى ربه العفو واللطف و النجاة من عقاب نار الجحيم كما يصر الشاعر أبا مدين التلمساني على اظهار شغفه بشفيع يوم القيامة، و هذا دليل على رغبة الشـــاعر الملحة في شفاعة الرسول من نار الآخرة ولهيبها و إدخالنا جميعا الجنة الخضراء، كما يبين لنا الشاعر أن الرسول سبب الوجود و أنه أفضل خلق الله فيطمع في شفاعته في الدنيا والآخرة فنظم في مواضيع كثيرة يرجو ذلك ومنا يقول :

عَلَى حَبِيبِي مُحَمَّدْ هُو غَدا يَشْفع فِينَا [2]

{ حبيبي ، محمد ، يشفع } ⟵ الغرض منها شفاعة الرسول و عطائه وعدله و سماحته

[1] أبو مدين التلمساني، الديوان ، ص45

[2] أبو مدين التلمساني، الديوان ، ص 93

خـــــــاتـــــــمـــــة

لقد اتضح لنا من خلال دراستنا لهذا البحث أن الشعر الصوفي الجزائري فيه من الزخم و التنوع ما يغري الباحثين ببحثه و سبر غوره و استخراج ذخائره ولعل أبرز ما يغلب عليه الجانب الديني و ذلك راجع إلى تأثير الدين الإسلامي في نفوس أبناء الوطن، لذا نلاحظ أن معظم الشعراء كانوا من الفقهاء و المتصوفة،وقد توصلنا من خلال هذا البحـــــث إلى بعض **النتائــج** هي كالآتي:

ـ السيمياء بحر عميق يصعب التطرق إليه، لهذا جاءت سيمــيائيات الأهواء امتداد للسيمياء العامة و ليس على أساس نفيها،حيث اعتمدت الكثير من آلياتها في الكشف عن الدلالات الخفية للنصوص من بينها النموذج العاملي .

ـ اهتمت سيميائيات الأهواء بحالات النفس و من ثمة الاهتمام باتصال الذات بالعالم الخارجي في حين اهتمت سيميائية العمل بحالات الأشياء ما أدى إلى انفصال الذات عن العالم الخارجي، حيث أضافت بعدا جديدا في دراسة النصوص و تحليل الأشعار و هو البعد الانفعالي يكون الإنسان لا يفعل فحسب ينفعل و يتأثر في الوقت نفسه، و أن أحد الركائز الأساسية التي يقوم عليها الأدب و لاسيميا الشعر هي الأهواء و العواطف و المشاعر الإنسانية .

ـ لا يخلو أي شعر من الأهواء، ولا يمكن للذوات أن تعمل دون أن تحس و تشعر، لذلك كان لابد من إعادة الاعتبار لهذه البؤرة من خلال تسليط الضوء على دراسة الجانب الاستهوائي للذات .

ـتحتل الأهواء مكتنة مرموقة و مهمة في وجودنا الإنساني، لا يمكن أن يخلوا أي عمل فني منها فهي المسؤولة على توليد المعاني و توجيهها، قد لاحظنا كيف وظف أبا مدين شعيب التلمساني هوى الحب الالهي في مدونته من خلال تشكيلة من الأهواء الصغرى التي تندرج تحته، فتبدي تيمة العواطف أثرا بالغا يظهر على النفس و الجسد قبل أن يجسد في الورق فالملامح التي تبدو على الوجه هي الحقيقة علامة سيميائية تترجم انفعالا ما قد يظهر جليا عند النفوس السوية لربها دون قصد .

- يعد التصوف جانبا من أخص الجوانب الحياة الروحية في الإسلام، و هو تجربة و سلوك قبل أن يكون مذهبا و فكرا، لأنه يخوض في عمق العقيدة و استلهام ظواهر الشريعة، و تأملا لأحوال الإنسان في الدنيا و تأويلا للرموز، فعرفت الجزائر التصوف في فترة متقدمة نظرا لتداخل بين دول المغرب العربي من حيث التاريخ و الفكر و الثقافة و الدين، و أضخت الطرق الصوفية من بين العوامل التي ساعدت على استمرار التصوف في الجزائر، فلا أحد ينكر أن الشعر الديني ارتبط بظهور الدعوة الإسلامية و قد كان الشعر الصوفي تجربة روحية و لغوية متميزة فسماته الالتزام و الصدق الفني و الديني و الإنسانية فالتجربة الصوفية في الشعر الجزائري الصوفي تجربة تداخل فيها الفكر بالإبداع فقد ترجمها الشاعر الصوفي معبرا عن رؤيته في قالب فني ديني .

-إن القصيدة الصوفية غالبا ما يتكرر بناءها في سائر القصائد بدايتها تكون أحيانا ببسملة ثم يتبعها التسول و بعد يعرج الشاعر إلى ذكر موضوعه الديني، تخللت الرموز الصوفية لمدونة أبو مدين شعيب فيظهر فيها العشق الإلهي و الرحلة الروحية في عشق الذات الإلهية و رمز الطبيعة الذي ينصب دائما في الحب الإلهي و الكرمات التي تثبت ولاية سيدي شعيب أبو مدين { تلمسان }و بعد هذا البحث المتواضع و ما يعتري من خلل و وهن نرجو أننا قدمنا دراسة و لو بسيطة لتراثنا الجزائري نكون فيه قد نفضنا الغبار و لو بمقدار ضئيل على شعرنا الأصيل مع التمني للانطلاق نحو بحوث قادمة تساهم في كشف خبايا هذا الموروث الذي يعبر عن عراقة أجدادنا و أصالة أسلافنا.

القرآن الكريم { برواية ورش }

المصادر :

1. **ابن الكيزاني** ديوان الشاعر الصوفي، حياته و شعره ، علي صافي حسين دار المعارف، مصر، ب،ت .

2. **أبو مدين** شعيب التلمساني ديوان جمع وترتيب: العربي بن مصطفى الثوار، مطبعة الشرق، دمشق، ط 1، 1958.

3. **أبو مدين** شعيب الغوث، **ديوان**، شعر و تصوف، لبنان،1432،2011، ط1.

4. **إسماعيل** أبو الفداء بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ـ تفسير القرآن الكريم ـ دار ابن حزم للنشر و الطباعة، بيروت ن لبنان، ط1، مج 4،2002 .

5. **الجاحظ**، رسائل الجاحظ، ج3، تح/ عبد السلام محمد هارون دار الجيل بيروت، لبنان، 1991،دط .

المراجع :

6. **أبو العلاء** عفيفي ، التصوف الثورة الروحية في الإسلام، دار المعارف القاهرة 1963.

7. **أبو نصر** السراج الطوسي، اللمع، تحقيق عبد الحليم محمود/طه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة و مكتبة المثنى/1960

8. **أماني** سليمان داود ، الأسلوبية والصوفية، دراسة في شعر الحسين بن منصور الحلاج، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط1، 2002.

9. **أمين يوسف** عودة ، تجليات الشعر الصوفي لقراءة في الأحوال و المقامات، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط1، 2001.

10.**حسن الفاتح** قريب الله، المفهوم الرمزي للخمر عند الصوفية الدار العربية للكتاب، ط1، 1999.

11.**سامي** محمد ملحم ، أساسيات علم النفس، دار الفكر للنشر، ط1، 2009 .

12.**الطاهر** بونابي ، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 الهجرين 12 و 13 الميلادين، شركة دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، عين مليلة 2004

13.**عاطف** جودة نصر – شعر عمر بن الفارض، دراسة في فن الشعر الصوفي، دار الاندلس، لبنان، ط1، 1982.

14.**عبد الرحمان** الوافي، مدخل إلى علم النفس، دار هومه، الجزائر، ط6، 2013.

15.**عبد الرحمان** عيسوى، الوجيز في علم والنفس العام ـ دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، مصر، دط، 2013 .

16.**عبد العزيز إبراهيم** سليم ، المشكلات النفسية و السلوكية لدى الأطفال، دار المسيرة للنشر، عمان الأردن، 2011، ط1.

17.**عبد الواحد** المرابط ، السيمياء العامة و سيمياء الأدب، من أجل تصور شامل منشورات الإختلاف، الجزائر ط1، 2010.

18.**العفيف** التلمساني ، تحقيق العربي دحو، ديوان المطبوعات الجامعية 1994.

19.**علي** الخطيب، اتجاهات الأدب الصوفي بين الحلاج و ابن غزالي، د ط القاهرة، دار المعارف، 1404.

20.**عماد** عبد الرحيم الزغلول ، علي فالح الهنداوي، مدخل إلى علم النفس ـ دار المسيرة للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2013

21.**ليلى** مجنون ديوان: شرح / ديوسف فرحات ، دار الكتاب العربي، بيروت ط 4، 1999.

22.**محمد الطاهر** علاوي: العالم الرباني سيدي أبو مدين شعيب نقلا عن المجموعة النبهانية في المدائح النبوية ج/2 و هي تنسب لأبو مدين.

23.**محمد** بخوشة كتاب الحب و المحبوب، تلمسان، دار ابن خلدون 2004 ـ المرزوقي، الأدب الشعبي، الدار التونسية للنشر و التوزيع، تونس، ط5، 1967.

24.**مختار** حبار ، شعر أبو مدين التلمساني { الرؤيا و التشكيل } اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002 .

25. **يوسف** وغليسي ، مناهج النقد الأدبي، مفاهيمها وأسسها، تاريخها، و روادها و تطبيقاتها العربية، جسور للنشر، الجزائر، ط1، 2007.

المراجع المترجمة للعربية :

26.**بيرجيروا**، السيميائيات دراسة الانساق السيميائية غير اللغوية تر/منذر عياشي دار نيتوى للدراسات و النشر و التوزيع، دمشق، سورية، ط1، 2016

27.**غريماص** و **فونتيني** ـ سيميائية الأهواء من حالة الأشياء إلى حالة النفس ترا سعيد بكراد، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس، ط 1، 2010.

المعاجم :

28.**إبن منظور** ـ لسان العرب بيروت ، لبنان ، ط 3 ،2004 ، مادة{ باب م فصل السين }مج 7.

29.**جبور** عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلوم للملايين، بيروت، لبنان، ط 2، 1984.

30.**الخليل بن أحمد** الفراهدي، كتاب العين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2002.

31.**عبد الرزاق** القشاني، معجم اصطلاحات الصوفية، تحقيق محمد كمال إبراهيم جعفر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط1، 1981.

المجلات والدوريات :

32.**محمد** الداهي ـ سيميائية الأهواء ـ مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب، الكويت، مارس 2007.

المواقع الإلكترونية :

33.**عبد المعنم** القاسمي، عن التصوف و الصوفية في الجزائر: الموقع الالكترونية

.halbordj : blgsprot . com

الفهرس

- مقدمة ..... (أ)

مدخل : السيمياء مفهومها وأصولها

1- السيمياء في الدرس العربي..... (06)

2- السيمياء في المعاجم الغربية..... (08)

3- الهوى في المجال اللغوي ..... (10)

4- الهوى في المجال الديني..... (11)

5- الهوى في الدرس الفلسفي ..... (12)

6- الهوى في الكتب السيميائية ..... (13)

7- الهوى في الدرس النفسي ..... (13)

8- الشعر الصوفي وإرهاصاته..... (15)

8-1 نشأة التصوف وإنتشاره في الجزائر ..... (16)

8-2 اسباب انتشار التصوف وطرقه في الجزائر..... (17)

8-3 أعلام الشعر الصوفي الجزائر ..... (17)

الفصل الأول : خلفيات وروافد سيميائية الأهواء

1- العدة المفاهيمية لسيميائية الأهواء..... (21)

1-1الإستهواء..... (21)

1-2التوتير..... (25)

1-3النظير..... (28)

1-4المآل المصير ..... (28)

2- الجانب التطبيقي الذي اعتمده غريماص وفونتيني ..... (29)

2-1 هوى البخل..... (29)

2-2 هوى الغيرة ..... (31)

الفصل الثاني: تجليات سيميائية الأهواء في ديوان أبي مدين شعيب التلمساني

1- سيميائية الخمرة ودلالاتها العرفانية ..... (34)

2- سيميائية المرأة ودلالاتها العرفانية ..... (37)

3- هوى الحب الإلهي ..... (42)

4- هوى الخوف ..... (45)

- خاتمة ..... (49)

- قائمة المصادر والمراجع ..... (51)

- الفهرس

- الملخص

ملخص المذكرة

ملخص

تعالج هذه المذكرة سيميائية الأهواء في الشعر الصوفي الجزائري القديم، حيث تطرقنا من خلال بحثنا هذا إلى دراسة منابع الهوى من الناحية السيميائية في الشعر أبو مدين شعيب التلمساني و حاولنا الكشف عن غوامض دلالات التعابير و الألفاظ ذات طابع الرمزي الإشاري في المدونة فرصدنا بناء على ذلك الإحالات الرمزية، من العلامات الكـــبرى البارزة في الديوان و هي علامة الحب و الأنوثة و الخمـــرة و علامة الحنين و الرحلة و دراسة دلالات هذه الأهواء التي تجســـدت إلى حد كبير في الشاعر الصوفي و مثلت شعر الصوفيين بقمة النضج و منتهى التطور الذي حققته القصيدة الصوفية في واحد من أكثر الحقبات الزمنية عطاء و إبداعا و إشرافا في تاريخ الجزائر الإسلامي في سبيل الوقوف على خصوصية طريقة توظيف الشاعر الصوفي لتلك الأهواء السيميائية في نص الشعري.

الكلمات المفتاحية :

سيميائية، الأهواء، الشعر الصوفي الجزائري القديم .